الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة
وزارة التعليـــــم العالي والبحث العلمـــــي

جامعـــــة العقيد أكلي محنـــد أولحـــاج-البويرة-
معهـــــد اللغات والأدب العربي
قســـم اللّغة العربية

القصص الشعري عند خليل مطران

قصيدة "الجنين الشهيد" أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبة:
- عزي فضيلة
- قاسم سامية

تحت إشراف الأستاذة:
يحياوي حفيظة

السنة الجامعية: 2012/2011

"إهداء"

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من قال فيهما الرحمان:

"وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا"

إلى من ترعرعت في أحشائها وكبرت بين أحضانها، إلى من سهرت الليالي معنية بحالي، فهي زادي بالدعاء على مرّ الزمان...، إلى من تعجز الكلمات عن التعبير عنها

"أمي نور عيني ومهجة قلبي"

أهديه إلى من قال فيه الرسول (ص): "الأب أوسط أبواب الجنة، فمن شاء فليحفظه" فهو كان ولا يزال مشعل دربي ومفتاح حياتي وسندي فهو عوني وتاج رأسي على الدوام

"أبي الحنون"

إلى الغالية على قلبي كثيرا، أختي الوحيدة وصديقتي ورفيقتي فريدة، والتي أتمنى لها النجاح والسعادة.

إلى أخي الأكبر الرزين "عبد المجيد" وأتمنى له النجاح والتوفيق.

إلى أخي الأصغر مدلل البيت إسماعيل، والذي أتمنى له السداد.

إلى روحي جدي "شيحة" وعمتي "عائشة" رحمهما الله.

إلى جدتي الغالية وأمي الثانية "عائشة" وأتمنى لها العمر المديد.

إلى جدي "محمد" وجدتي "خوخة" وأتمنى لهما طول العمر.

إلى خالتي "نصيرة" و"فطيمة" وأتمنى لهم السداد والفتح القريب.

إلى خالتي "آسيا" وزوجها وابنتهما "ملك ونور الهدى"

إلى خالي "ياسين"، "سليم"، "عبد الله"، "محمد"، وابنته صارة.

إلى أعمامي سعيد، جمال، وابنته شيماء.

إلى عماتي زهرة ، عائشة، مليكة.

إلى عائشة، سليمة، جميلة.

إلى زميلتي عزي فضيلة والتي أتمنى لها النجاح والتوفيق من كل أعماق قلبي فهي نعم الصديقة.

إلى صديقاتي: سمية، حكيمة، صبرينة، سامية، فاطمة، أحلام ...

إلى كل من عرفه قلبي ورأته عيوني وغفل قلمي عنه.

أهديه إلى كل طالب علم وإلى كل من قرأ هذا العمل

"أطلبوا العلم من المهد إلى اللّحد"

سامية

© Ladie Lynn
http://ladielynn.com

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من تدمع العين لذكراهم، ويحنّ القلب للقياهم، إلى من فقدت بفقدانهم كلّ شيء جميل في الحياة إلى روح الوالدين الكريمين "وروح جدي" رحمهم الله إلى من قال فيهم الرسول (ص): "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة"

إلى شمعت البيت وضيائها إلى من أنارت دربي بدعائها إلى أمي الثانية وأعز الناس إلى قلبي إلى حامل همومي من صغري إلى كبري إلى قدوتي في هذه الحياة ومثلي الأعلى إلى من كان بمثابة الأب والأخ الأكبر والعمّ "علي".

إلى من قاسمني الحياة بأفراحها وأحزانها إلى سندي في هذه الحياة إلى إخوتي الكرام عبد القادر، زهير، عبد الرحمان، رابح عبد النور، أيمن عبد الرؤوف.

إلى الوردة التي راحت عطرا إلى أختي العزيزة "دليلة"، إلى كاتمتي أسراري "إيمان" و"روميسة"، إلى قرتي عيني "رفيدة" و"أشواق"

إلى منبع الحنان إلى رمز البهجة والفرحة عماتي الكريمات: الجوهر وزوجها معمر وأولادهما، بركاهم وزوجها العيد وأولادهما، إلى نصيرة وزوجها "نور الدين" الذي أقدره وأحترمه كثيرا على عونه لي في مشواري الدراسي وإلى مسعودة وزوجها الحواس وأولادها وإلى رمز البراءة "فرح" إلى صافية القلب ومصدر الحنان "خالتي العزيزة خيرة" وزوجها وأولادها وخالتي "أم السعود" إلى المقرب إلى قلبي والمفرج عن نفسي خالي "مبارك" وزوجته وأولاده.

إلى كل من أعانني بكلمة طيبة إلى زوجة عمي "ز" وزوجتي أخوي "ع" و"ف" إلى براعم البيت وكتاكيتها "فتيحة هبة الرحمان" و"اشرف تقي الدين"

إلى رفيقة الدرب إلى من قضيت معها أحلى اللحظات "سامية"

وإلى كل زميلاتي: فاطمة، يامنة، حميدة، زينب، حفيظة، هاجر، حكيمة، فريدة، أنيسة، فوزية، سعدية، رقية، هجيرة...

إلى كل من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم ورقتي

فضيلة

© Ladie Lynn
http://ladielynn.com

مقدمـــة

مقدمة:

تعتبر القصة فنا من فنون الأدب عامة، والنثر خاصة حيث تتناول مختلف المواضيع التي تمس ميادين الحياة، كما تسمو القصة بالخيال والتشويق لتنتج لنا إبداعا فنيا خلاقا، ولكن هذا لا يعني أنها انحصرت في الجانب النثري بل نجدها تعدّت ذلك إلى الشعر، إذ يعتبر الشعر القصصي من الأنواع الأدبية التي استحدثت في الأدب العربي الحديث، وإن كان له إرهاصات أولية في الأدب العربي القديم وبالتحديد عند شعراء الجاهلية، أمثال عنترة وزهير بن أبي سلمى في شعرهما، غير أن قصصهما تفتقد للعناصر الفنية التي تبنى عليها القصة.

أما في العصر الحديث فنجد أن الشعراء قد كتبوا في هذا المجال كجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي، وهنا أضاف الشاعر لمسته الفنّية وإبداعه للتأثير على القارئ، وبالعودة إلى حملة نابليون على مصر نجد أن العرب قد أخذوا هذا الفن القصصي نتيجة تأثرهم بهذه الحملة التي تشبّع العرب من خلالها، والحقيقة أن هذا الفنّ الشعري لم يبرز بصورة مكتملة إلاّ مع خليل مطران الذي يعدّ رائد هذا الفنّ بامتياز. فهل تمكن مطران من تمثيل هذا النوع من الشعر؟ وإلى أي مدى خالف سابقيه في تحديد العناصر الفنية للقصة؟

أمّا عن سبب اختيارنا للموضوع، فكان نتيجة ميولنا للمجال الأدبي عموما والشعر خاصة، حيث تناولنا دراسة تحليلية لقصيدة "الجنين الشهيد" باعتبارها أنموذجا من نماذج الشعر القصصي عند خليل مطران.

وقد اعتمدنا في معالجة بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي، أما الصعوبات التي واجهتنا فكان من ضمنها قلة نسخ الديوان، أضف إلى ذلك نقص المصادر والمراجع التي تتناول القصة الشعرية خاصة في المكتبة، ولكن بعد جهد وبفضل قدرة الله سبحانه وتعالى تمكنّا من تجاوز هذه الصعوبات.

أما فيما يخص الخطة المتبعة، فقد قسمنا بحثنا إلى فصلين، الفصل الأول تضمن لمحة عن حياة خليل مطران وشعره، أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه ملامح الشعر القصصي عند خليل مطران مصحوبا بأنموذج تحليلي لقصيدة "الجنين الشهيد" وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- "مغالطات في حياة خليل مطران وشعره"، لخالد إبراهيم يوسف.
- "الديوان الجزء الأول"، لخليل مطران.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذتنا المحترمة "يحياوي حفيظة" التي أشرفت على بحثنا هذا.

الفصل الأول:

لمحة عن حياة خليل مطران وشعره

الفصل الأول:

لمحة عن حياة خليل مطران وشعره

1- مولده ونشأته

2- روافده الثقافية

3- آثاره

4- شاعريته

5- خصائص شعره

6- المرأة في شعره

مولده ونشأته:

يعود نسب خليل مطران إلى أسرة عربية مسيحية عريقة يرجع أصلها إلى عائلة نسيم وهي بطن من بطون (غسان)، هاجر بعض فروعها من حمص إلى بعلبك ووادي البقاع، بعد أن انتقلت في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة من المذهب الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي وفي بعلبك لم يكن لهذه الطائفة بيعة فنصّب هؤلاء عليهم مطرنا، والذي اتخّذ من داره بيعة فعرفت ببيعة مطران وهو لقب لحق بأهله وأقاربه وقد أعرب مطران عن أصله وصرح بأنه غسّاني في قوله:

أَلَّا يَا بَنِيْ غَسَّانَ مِنْ وَلَدِ يَعْرُبِ وَأَجْدَادُهُمْ أَجْدَادِي العُظَّمَاءُ[1]

ولد مطران في بعلبك مدينة الشمس في لبنان شهر تموز (يوليو) 1872 في كنف والدين كريمين فاضلين هما: عبدو مطران الذي كان من وجهاء المدينة وأثريائها، متدينا، خلوقا متحفظا بالتقاليد العربية الأصيلة ميالا لقراءة الأشعار والكتب الأدبية'وملكة الصباغ (والدته) ذات الأصل الفلسطيني الميالة بطبعها إلى الشعر، وبنشأته في كفنهما بدأت تظهر لديه بوادر الاهتمام بالثقافة العربية، حيث تلقى تعليمه الأولي على يد والده الذي أغراه بديوان ابن الفارض وحبب إليه أشعار الجاهليين، ثم بانتقاله إلى زحلة. زاد ميله وحبه الشديد للشعر،إلا أنه لم يتمكن من إحسان نظمه في أول الأمر، فاكتفى بقراءة أشعار غيره وحفظها. وبها «أيضا (أي رحلة) تلقى علومه الابتدائية بالكلية الشرقية وبعدها التحق بالقسم الداخلي في كلية البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت، والتي تتلمذ فيها على يد الشيخين اليازجيين: الخليل وإبراهيم»[2]، فزاد رصيده المعرفي بمعرفتهما.

كما عكف خليل مطران في هذه المرحلة على المطالعة، فانكب على الدرس والتحصيل وطالع بنهم كل ما وصل إلى يده من أثار الكتاب والشعراء، حتى تزود بثقافة عربية أوروبية عميقة وواسعة، فتحت أمامه أبوابا واسعة في الحياة، وجعلت منه شاعرا نزاعا إلى التحرر

---

[1]– خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2006 ص39– 40.

[2]– كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ط1، 2003، ج2 ص213.

والحرية، داعيا إلى الوعي القومي ومقاومة الظلم والطغيان مما فتح له أفاق أوسع رفدت شعره وأغنت تجربته[1].

ونتيجة لترحاله بين البلدان الأوروبية والعربية خصوصا حمل عدة ألقاب منها: شاعر القطرين ونعني بهما مصر ولبنان، شاعر الأقطار العربية وكان ذالك عندما أقامت الحكومة المصرية مهرجان لمطران بمشاركة أدباء وشعراء الأقطار العربية، فاتخذ هذا اللقب بدلا من شاعر القطرين.

ولم تنتسب إليه هذه الألقاب له عنوة، بل كانت نتيجة أعمال متواصلة ومثابرة وجهد كبيرين بحيث انتخب بالإجماع في 22 أكتوبر 1932 رئيسا لجمعية أبولو بعد وفاة رئيسها السابق أحمد شوقي، فجمع بين الرئاسة الواقعية للتجديد، والرئاسة الرمزية لقيادة أبولو وأصبح مدير للمسرح سنة 1935[2]. إضافة إلى توليه تحرير جريدة الأهرام بمصر، فقد كرس حياته للناس ولأعماله وفنه وأدبه.

«و في عام 1945 بدأت صحة مطران بالانحراف والتدهور إلى أن اشتد عليه داء النقرس والربو في القاهرة عام 1948، وفي 30 حزيران 1949 فاضت روحه إلى بارئها فنقل جثمانه إلى كاتدرائية الموازية في حي الظاهر»[3]. وبهذا فقدت الأمة العربية عامة والأدبية خاصة قطبا من أقطابها ولسانا عربيا معبرا عن معاناتها ومأساتها وتراثها بحق، فقد ترك بصمة أدبية خالدة في الذاكرة العربية والمتمثلة في مؤلفاته الشعرية.

2- روافده الثقافية:

لعلّ أهم الروافد التي ساهمت في عملية الإبداع الشعري عند خليل مطران تعود بالأساس إلى «موهبته الشعرية الفطرية التي نمت بفضل تجاربه الشخصية الغنية، واحتكاكه

---

[1]- عباس صادق، موسوعة أمراء الشعر العربي، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان ط3، 2009، ص 185 بتصرف.

[2]- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها الرومانسية العربية، توبقال للنشر، المغرب، ط2 2001، ج2، ص 180، بتصرف.

[3]- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003 ص81، بتصرف.

العميق مع واقع الحياة التي عاشها خلال فترة عصيبة من التاريخ العربي، أغناها إطلاعه الواسع على كثير من ذخائر الأدب»[1].

كما شهدت حياة مطران الكثير من المحطات التي أسهمت في نمو ثقافته وأولى هذه المحطّات بعلبك التي فتح عينيه فيها، و«وتلقى تعليمه بها على يد والده. ومن بعلبك انتقل الخليل إلى زخلة حيث دخل إحدى مدارسها ليتعلم مبادئ اللغة والرياضة والعلوم، وهناك أحسّ بميل شديد إلى الشعر»[2]، ولكنه لم يتوقف عند هذا القدر من التعليم بل ارتحل إلى بيروت لمواصلة مشوراه، حيث «التحق بالمدرسة البطريركية للروم الكاثوليك، ومكث فيها حتى السابعة من عمره، وتتلمذ على يد الشيخين خليل وإبراهيم اليازجي، وهناك درس النحو على يد الشيخ الخليل، ودرس البيان وفقه اللغة والأدب على يد الشيخ إبراهيم»[3] فحصلت له ثقافة عربية خالصة أثرته بأصولها وأثراها بشعره، إلى جانب هذه الروافد التي أثرت في حياة مطران انبثقت تيارات عدة عملت على إرهاف الحس الشعري لديه.

ومن بين هذه التيارات ما يلي:

أ- تيار الطبيعة:

إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي مساهمة الطبيعة في بلورة الفكر لدى الكثير من الشعراء، فمثلما أثرت الطبيعة على شعراء الأندلس في الجانب الوصفي، كان لها الأثر البالغ والحتمي على الشعراء اللبنانيين، وقد اتضح هذا الأثر جليا في نفس مطران وشعوره وشعره بحيث يرى خالد إبراهيم يوسف في كتابه "مغالطات في حياة خليل مطران وشعره" : أنّ المتتبع لشعر مطران لا يخفى عليه اهتمام مطران بمظاهر الطبيعة من حوله وولعه بها، فتلك الجبال الشامخة المرصعة بالثلوج الناصعة البيضاء وتلك المروج الخضراء المنبسطة، وتلك الأنهار والجداول الملتوية عبر الأغوار البعيدة، بالغت في تأثيرها في شاعرنا حتى باتت الطبيعة كائن حي يوحي ويتكلم، ويحس ويتألم، يحب ويعشق[4]، ويبدو ذلك واضحا في قصيدته "التأليف بين القلوب" التي لم يتحدث فيها عن تأليف القلوب بقدر ما وصف الطبيعة الخلابة في كل من لبنان ودمشق، سهل البقاع وبيروت، والبحر والشاطئ، وطرابلس والقدس، وكأنه بهذا العرض

---

[1]- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 49.

[2]- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت، ط2، 1995، ص 67.

[3]- المرجع نفسه، ص 67.

[4]- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة مطران وشعره، ص 49-50- بتصرف.

التصويري يرمي إلى القول بأنّ «ترابط الطبيعة مدعاة إلى تآلف القلوب، وشغف مطران وتعامله مع مظاهر الطبيعة أبعد من أن يجد وأكبر من أن يعبّر عنه في سطور إذ ليس شعره الذي اشتهر به سوى وليد لهذه الطبيعة وابنها البكر في الشعر العربي الحديث»[1].

فمطران كغيره من الشعراء تأثر بالطبيعة فحاكاها، ومثّل لنا صورة تآلف القلوب وهي حسية إنسانية بصورة أخرى طبيعية تجسدت في تآلف مظاهر الطبيعة فيما بينها وهذا ما يدل على براعة التصوير.

ب- تيار غربي:

تشكلت ثقافة مطران الأوروبية من خلال نظمه بعض القصائد لأعلام الأدب الغربي أمثال: موليير، فيكتور هيغو، لامارتين ألفريد دي موسييه، كما ظهرت ثقافته الأوروبية في طرقه الموضوعات التي قلما لجأ إليها الشاعر ذو الثقافة العربية الواحدة، مثال ذلك قرضه الشعر في أشعة رنتيجن)"[2] كما مزج بين الثقافتين العربية والفرنسية، ويظهر ذلك من خلال قصيدته التي صدر بها في ديوانه (1870/1866) بحيث ظهر بديباجة عربية ناصعة وبموضوع فرنسي، وبهذا نرى الأدبين العربي والأوروبي يكوّنان شخصية مطران الأدبية و«في ذلك اعتمد إسماعيل أدهم قول توفيق حبيب في تصوير مبلغ مطران في هذين الأدبين فيقول: وخليل مطران أرسخ الناس قدما في الأدبين الفرنسي والعربي، يعرف الأدب العربي القديم كأحسن المتخصصين فيه، كما أنه مطلع على الأدب الفرنسي كأحسن أبنائه، اعتناء بدراسته»[3].

وتجدر الإشارة أيضا أن مطران قد تأثر في بعض النماذج القصصية التي عثر عليها خلال مطالعته للأدب الغربي لاسيما الفرنسي، ومن ثم عمد إلى توظيف القصة في شعره وإن كان أدبنا العربي يفتقر لمثل هذه النماذج.

---

[1]- ينظر: خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص50.

[2]- جمال الدين الرمادي، خليل مطران شاعر الأقطار العربية، دار المعارف، مصر، د.ط، 1972، ص 245.

[3]- حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2004 ص 141.

ج- تيار عربي:

يمثل خليل مطران الأنموذج العربي الأصيل، ويظهر ذلك من خلال نشأته في بيت يشجع المواهب الأدبية، ويتذوق الأدب ويعشقه حيث إن أباه أغراه وحفزه على قراءة الروائع الأدبية للتمتع بها والتعرف عليها.

و«بانتقاله إلى بيروت نمت قريحته الأدبية وتفتحت مواهبه، وكثر اطلاعه ومطالعته فأصبح واحد من أئمة اللغة والأدب، ويعود الفضل في ذلك إلى الشيخان اليازجيان: خليل وإبراهيم، وهذا ما أكده خليل مطران ولم ينكره عندما سئل عن الشخص الذي كان له الأثر الكبير في حياته، فكان جوابه: «تأثرت بالشيخ خليل اليازجي والشيخ إبراهيم اليازجي في نشأتي الأولى وكلاهما كان عالما، شاعرا، كاتبا، وطنيا، عربيا يحب العروبة ويدافع عن كرامة العرب ويخلص للوطن العربي، لكن تأثري بالشيخ إبراهيم أعمق وأكبر...»[1]

والواقع أن ثقافة مطران لم تنحصر في تأثره بإبراهيم اليازجي بل تجاوزها باطلاعه على الشعر والأدب الغربي في مختلف مراحله وبيئاته، وهذا كله لم يمنع أن تكون له حياته الخاصة، وشخصيته المتميزة عن باقي الشخصيات التي عايشها وتفاعل معها، ومنه نخلص إلى أنّ «ثقافته كانت ثقافة واسعة يغلب عليها عنصر التأمل والتفكير والنظر»[2] فتشبع مطران بالثقافتين العربية والغربية، جعله واسع الفكر، بعيد النظر، شديد التأمل.

3- آثـــاره:

من ابرز ما قام به خليل مطران محاولته الشعرية الأولى المتمثلة في قصيدة «" معركة ايانا"، والمتضمنة داخل الديوان وفي عام 1900 أنشأ مجلة نصف شهرية اسماها "المجلة المصرية"، وكانت أول مجلة تختص بشؤون الأدب، صدر منها أربع مجلدات ثم توقفت.

وفي عام 1902 أنشأ الجوائب المصرية، وهي صحيفة يومية اشترك في تحريرها يوسف الخازن، وفي تلك الفترة أيضا أصدر كتاب تاريخي بعنوان "مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام"، وهو في جزئين، كما جمع مراثي الشعراء لسامي البارودي»[3].

---

[1]- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 51-52.

[2]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، بيروت، ط10، 1980، ص 1023.

[3]- المرجع نفسه، ص 1020.

إضافة إلى هذا اهتم خليل مطران بالترجمة «فنقل عدة روايات مسرحية تمثيلية إلى العربية أشهرها: "الدسيسة" "لشيللر"، و"تاجر بندقية"، "عطيل"، "مكيث"، "هملت"، لشكسبير، ضف إلى ذلك مسرحيات لكورنييه منها: "بوليوكيت"، "السيد"، "سينا" ومسرحية هرناني لفيكتور هيڤو»[1].

ويعد إصدار ديوان الخليل أجمل مظاهر النشاط الأدبي في ذلك العهد عنده، وهو مجموعة ما نظمه سنة 1908، وأعيد نشره عن دور نشر أخرى منها ما أصدر عن دار الهلال للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة 1949 بأربعة أجزاء من ديوانه الذي يضم 434 قصيدة ومقطوعة، أي حوالي 22 ألف بيت من الشعر، وبعدها أصدرت بيروت عن دار الكتاب للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة عام 1967، أما آخر طبعة له كانت عام 1975 بدار مارون عبود بيروت»[2].

وإذا تصفحنا ديوانه نجده قد نظم مجموعة من القصائد الشعرية ذات الطابع القصصي منها: "حكاية العاشقين" التي صبّ فيها مطران تاريخ حبه، وكذا قصيدته الشهيرة "الأسد الباكي" التي صوّر فيها حالته النفسية وأساه المضني، إلى جانب بروز الأغراض الشكسبيرية وتميزها في شعره، بحيث نظم فيها أول ملحمة شعرية في الأدب العربي بها قصيدته الخالدة "في نيرون" وقصيدة "تذكار" التي تذكره بساعات اللهو والشجو، بالإضافة إلى هذا نجد مطران نظم قصائد أخرى تعد من أروع ما كتب في الشعر العربي وهي قصيدة "الجنين الشهيد"، "الطفلان"، "شهيد المروءة"، "مقتل بزرجمهر"، "فتاة الجبل الأسود"، "الطفلة البويرية"، "الوفاء"، "المساء"، "الطفل الطاهر والحق الظاهر"، "آثار بعلبك"، و"وقفة في تمثال رعمسيس"[3].

وتعد الأعمال التي سبق ذكرها من الأعمال الخالدة التي صدرت في حياته، ضف إلى ذلك أعمال كتب لها الخلود والبقاء، ولكنها لم تصدر إلا بعد وفاته منها: «"خليل مطران أروع ما كتب" مع مقدمة وشروح وتعليقات محمد صبري، وباعتناء شديد من ينابيع الحكمة قام بضبطها وتحقيقها وجمعها محمد أبو المجد وكذا مسرحية القضاء والقدر، تحقيق وتقديم إبراهيم

---

[1]– عباس صادق، موسوعة أمراء الشعر العربي، ص 186.

[2]– محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، ص181.

[3]– أنيس مقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1998 ص392، بتصرف.

حمادة»[1]، وهذه الأعمال لا تقل أهمية عن ديوانه الذي يتضمن الكثير من القصائد، فهي (الأعمال) رمز لخلود مطران.

4- شاعريته:

فطر مطران على قول الشعر، ووجد ليكون ملهما به، فقد جمع بين عمق شعوره وقوة خياله، وإعمال فكره ورصانته في التفهم والشعور وذوقه الذي لا يخطئ، وإدراكه للسحر الموسيقي العذب ما زاده تفوقا في شعره، ضف إلى ذلك اطلاعه على مختلف الثقافات وتأثره بالطبيعة التي هيأت له أجواء التحرر من القيود، ووجهت الأدب اتجاه الأجواء الفسيحة والمعاني الخالدة، رغم عدم تخلصه من الأغراض والأساليب القديمة.

ومما لا شك فيه أن شاعرنا يؤمن بضرورة التطوير في الشعر، إذ لم يفصل بين منطلقاته الشعرية المطلوبة عن المخلفات العربية وواقعه الاجتماعي الراهن، بحيث يقول في إحدى مقالاته: «فجاريت العتيق بقدر ما وسعه جهدي وتضلعي في الأصول واطلاعي على مخلفات الفصحاء، وتحررت منه وأنا في الظاهر أتابعه في نوع خاص في الوصف والتصوير ومتابعة الغرض، وبهذه الطريقة مهدت للتجديد في دوائر كانت ضيقة، ثم أخذت تتسع إلى ما وراء ضني، وستستمر في الاتساع بحكم العصر واتساعه»[2].

ومن هنا نفهم أن خليل مطران لم يتقوقع في شعره على القديم فقط بل تعدّاه إلى توجّه شعري جديد، وفيما يأتي بيان للمؤثرات الفاعلة في شاعريته:

أ- خليل مطران بين التقليد والتجديد:

كما هو معلوم لدى المتخصصين في مجال الأدب أنّ للنهضة العربية دور في ظهور المدارس النقدية التي برزت نتيجة الاحتكاك بالثقافات الغربية على اختلافها، كذلك كان لتسرب هذه الثقافة أثر بالغ في بعث روح التجديد في الشعر عند الشعراء بدءا من محمود سامي البارودي الذي يعد رائد من رواد الاتجاه الإحيائي، وصولا إلى رواد الشعر المعاصر مرورا بخليل مطران الذي يعد حلقة وصل بين التيارين الإحيائي والتجديدي «ذلك أنه تأثر بالثقافة

---

[1]- محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط3، 2004 ج1، ص 213.

[2]- كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2003، ج2 ص216.

الغربية دون تفلت من قيود العرب الأقدمين في الشعر والأدب، والعلم والتاريخ»[1] بحيث «سلكت فئة من شبان الحركة الجديدة الطرائق الحديثة التي نجدها في الشعر مع خليل مطران وفي التاريخ مع جورجي زيدان وفي العلم مع صروف، توجيه جديد وأساليب تجاري أساليب الغرب»[2] ومذهب خليل مطران أنّ «للعرب عصرهم ولنا عصرنا ولهم آدابهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا»[3] لكن تصريح خليل مطران بمذهبه هذا لا يعني أبدا أنه كان ثائرا وناقما على الشعر القديم، إذ لم يرفض القديم كله، وإنما احتفظ بأصول اللغة وأساليبها في حرية، ودعا إلى الارتباط بالعصر الذي يعيش فيه والحرص على ملاءمة شعره (موضوع شعره) هذا العصر ويتضح ذلك من خلال قول الدكتور طه حسين باشا «مطران ثائر على الشعر القديم ناهض مع المجددين وهو قد سلك على طريق القدامى فلم تعجبه فأعرض عن الشعر، ثم اضطر فعاد إليه، ثم حاول أن يعود إليه مجدّدا لا مقلّدا، وهو ينبئك بأنه يعرض عليك في ديوانه شيئا من شعره القديم لتتبين به مقدار ما وصل إليه التجديد وهو متواضع لا يزعم أنه بلغ من التجديد ما يريد وإنما يترك ذلك للذين سيأتون من بعده، وهو شجاع لا يعتذر ولا يتلطف، وإنما يعلن ثورته على القديم، واغتباطه بالعصر الذي يعيش فيه وحرصه أن يلائم بين الشعر وبين هذا العصر...»[4].

ومن هنا نخلص إلى أن التوجه الشعري عند خليل مطران استفاد من أصالة الثقافة العربية من جهة، وانفتاحه على الغرب من جهة أخرى، فهو شاعر العقل والوجدان، شاعر التطلع والإبداع، لأنه يأتيك بالأفكار والخواطر متسلسلة، مطردة والخيال متسقا، «كما أنه أدخل في الأدب العربي الشعر القصصي والتصويري في مجاله الواسع، وكل ذلك نتيجة للحياة التي عاشها الشاعر واللقاء الأدبي مع الغرب وتولد مشكلات جديدة دفعته إلى وعيها واشتقاق موضوعاته منها فنبذ بذلك الموضوعات التقليدية التي عاناها السلف، فمطران استجاب التطور الطبيعي، وعبّر عن حاجات العصر ومشكلاته، وقضاياه بلغة شعرية جديدة، واعية، وهندسة فنية متناسقة مع وظيفة الشعر الاجتماعية، ورسالة الشاعر الإنسانية»[5] فمطران ساير روح

---

[1]– محمد مندور، خليل مطران، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، د.ط، 1995، ص8، بتصرف.

[2]– ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 1023.

[3]– سلمى خضراء الجيوسي، اتجاهات وحركات في الشعر العربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط1، 2001، ص89.

[4]– حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 1023.

[5]– المرجع نفسه، ص 1024، بتصرف.

العصر ولم يكن مقلدا، بل كان مبدعا ومحافظا على الأصالة العربية فقد أدخل على الشعر العربي حلّة جديدة تمثلت في الشعر القصصي.

ب- شاعر الوجدان:

يعتبر الشعر الوجداني منبعا من المنابع التي استسقى منها مطران شاعريته، ذلك الشعر الوجداني النابع من أعماق القلب، المتدفق ألما وحسرة، المنهمر لوعة وأسى في مجال البشرية على نحو ما هو معروف عند الشعراء الرومانسيين، فقد أتيح له ما لم يتح لمعاصريه من آفاق ثقافية طبعت شعره بطابع خاص لا نجده في شعر شوقي أو حافظ، وقد عدّه بعض الدارسين من أمثال عيسى بلاطة وغيره رائدا حقيقيا من رواد الشعر الرومانسي مع أن شاعريته نمت وتفتحت قبل أن تصل تأثيرات الرومانسية إلى الأدب العربي»[1] ولا بد لنا إذا أردنا أن نفهم شعر خليل مطران الوجداني أن نقف معه موقفين اثنين هما: موقفا الحب والألم.

«أما الحب فقد لعب دورا كبيرا في حياة الشاعر الوجداني، وقد تتبع خليل مطران خطواته خطوة خطوة، وتفهم معانيه معنى معنى، وحلل عناصره في نفسه وخارجا عن نفسه فصدر الحب عين ترى، وقلب يجاري ويميل وللخليل في ذلك قصيدة فريدة عنوانها "العين والقلب أمام قاضي الغرام" التي تدور حول قصة حب وتسجل وقائعها، كما تفصل أوجه الدفاع عن العين والقلب، ولقد كان الحكم فيها ابتدائيا واستئنافيا أمام محكمة النقض والإبرام»[2] فالحب في نظره لا يتخطى حدود المعقول، عفيف يبتعد عن كل شذوذ لأن الشذوذ قتل للحب الحقيقي وخليل مطران يثور في وجه كل إنسان يريد ابتذال الحب وتحويله إلى شهوة حيوانية غليظة وهو يطلب البطولة من المحبين، ويروي من قصص البطولة في الحب ما يرفعه إلى درجة سامية.

أمّا الألم فكان نتيجة للواقع المر من طغيان وظلم عايشهما الشاعر، وضيقا الخناق عليه من جهة وعلى أهله ووطنه من جهة أخرى، وهذا ما دفعه إلى العيش في بيئة تضاهي التحرر وتجسيد مبدأ اللاإنسانية نافية بذلك شعور الإنسانية، وهذا ما جعل مطران هدفا للحزن والألم وأسال قلبه شعرا نابضا بكل عاطفة مؤثرة واختلاجة مفجعة[3].

---

[1]- خليل إبراهيم، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003 ص82.

[2]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 1025.

[3]- المرجع نفسه، ص 1027، بتصرف.

وتظهر صورة الألم جلية في عدة قصائد لمطران منها: "المسا"، "الأسد الباكي"، "موت عزيزين"، أما القصيدة الأولى هي من ثمار المرض المضني، وأما الثانية من ثمار الخسارة المادية، وأما الثالثة فمن ثمار الخسارة القلبية، وهذه القصائد الثلاث أنتجها مطران وهو في أوج الحزن والألم «فنج الشاعر بناء على ذلك يرتاح إلى نوع من الذوبان والزوال، كأنّ همّه لثقله فوق ما يتصور عقل إنسان، ذلك لاستيلاء الألأم عليه بقوة وكذا صدق إحساسه وعمقه وهذا ما نجده في قوله:

مُتَفَرِّدٌ بصبَابَتي ، مُتَفَرِّدٌ بكَآبَتي ، مُتَفَرِّدٌ بعَنَائِـــي

ثَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ ، ولَيْتَ لي قَلْبَاً كَهَذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ !

يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَـــوْجِ مَكَارِهِـــي وَيَفتُّهَا كَالسُّقْمِ في أَعْضَائـــي[1]

يتبين لنا من خلال هذه الأبيات مدى ألم الشاعر ووحدته في كآبته، وهذا ما وصلت إليه العظمة والشدة في الألم والتحليل لما يختلج في النفس وإبراز العواطف المتسقة.

ج- خليل مطران شاعر التاريخ والاجتماع:

كما كتب خليل مطران شعرا وجدانيا عبّر فيه عن خلجات نفسه وصدق إحساسه وعواطفه، سواء تعلقت موضوعاته بالألم أو الحب فإنه كتب أيضا في التاريخ والاجتماع الذي يبدو رائعا من حيث الوصف والتحليل ومن أشهر شعره في هذا الموضوع: "نيرون"، "في ظل تمثال رعمسيس"، مقتل "بزرجمهر"، "فتاة الجبل الأسود"، كما عبّر بشعره الاجتماعي عن واقع الشعب في الحياة ومشاكلها جراء الاضطهاد والظلم والمعاناة مثل قصيدة "فاجعة في هزل" "الجنين الشهيد"، "الطفل الطاهر" و"الحق الظاهر"، وهي كلها قصائد تتميز بروعة الفنّ وبلاغة الأسلوب وعمق التحليل[2].

فرغم تميز خليل مطران بشعر الوجدان، ونجاعة أسلوبه في هذا النوع من الشعر، إلاّ أنّه لم يهمل الجانب التاريخي والاجتماعي في شعره فالأول مثله بتأريخ الماضي، والثاني جسده من الواقع.

---

[1]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي ، ص 1027.

[2]- سلمى خضراء الجيوسي، اتجاهات وحركات في الشعر العربي الحديث، ص 93، بتصرف.

د- خليل مطران شاعر الوصف والطبيعة:

تميّز خليل مطران كغيره من الشعراء بغرض الوصف، دون أن يقف هذا التميز عند حدود الوصف البسيط العادي بل تعداه ليشمل الماديات والمعنويات، حتى قيل عنه «مطران وصاف ماهر، ومصوّر من الطبقة الأولى بين الشعراء العربية لا ينافسه في ذلك إلا ابن الرومي» وقد نتج وصفه عن قوة فكره ودقة تحليله في كل التفاصيل والجزئيات، وما يؤكد ذلك قوله في وصف آثار بعلبك:

خِرَبٌ حـــارت الـــبريّةُ فـــيـــها فتـــنةُ السَّامعـــيـــن والنُظّـــار

معجزاتٌ مـــن الـــبنـــاء كبـــارٌ لأنـــاسٍ مـــلء الزمـــان كبار

ألـــبستْهـــا الشمـــوسُ تفويفَ دُرٍّ وعقـــيـــقٍ عـــلى رداء نُضار[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات مدى تمكن خليل مطران من غرض الوصف في أي موضوع نظم فيه، بحيث تنطلق الصور من لسانه انطلاقة سحرية ملهمة ذات ذوق رائع، فقد جمع فيها بين الترتيب والتحليل والتمثيل والتشبيه والتجريد، وكل ما يدخل إلى القلب والنفس في موسيقى هادئة كما وظف غرض الوصف في تمثيل شعر الطبيعة المنعكس على مرآة نفسه ومشاعره والمتجسد في آلامه وآماله.

كما «حل مطران بالطبيعة وحلت به، وتجلى ذلك في مخاطبته للجماد والحيوان والنبات والمظاهر الكونية مغريا إليها شعوره، وما يخالجه من أمزجة وعواطف وأحاسيس حتى يندمج فيها، ويتحدث معها بشكل متفان ليؤلفوا وحدة لا تتجزأ، تتعاطف وتتفاهم وتتبادل المشاعر حتى أوشكت نظرته إلى الطبيعة أن تشابه إلى حد ما نظرة الشاعر كوبودلير الذي كان يقول: «إنّ الأشياء تفكر خلالي كما أفكر خلالها»[2] مثال ذلك قصيدة "المساء" التي شخّص فيها الطبيعة وخاطبها وبث شكواه إليها معتمدا على الوصف.

ونخلص إلى أنّ شاعرية مطران استقاها وهيأ مادتها من خلال احتكاكه بالأدب الغربي ومحافظته على القديم، وكان اطلاعه على أسرار الطبيعة وتأثره بالواقع المعاش من اضطهاد وظلم وتعسف نتيجة الأحوال السياسية والاجتماعية المزرية، وهذا ما أثار وجدانه وحرّك مشاعره، فقلب الخليل كما يقول حنّا الفاخوري في كتابه تاريخ الأدب العربي: «لا يعرف الغش

[1]- ينظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 1021.

[2]- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص72.

والموارية هو الحب في تنفسه المعطر، وهو العتاب الذي يذوب في الكلام، وهو الرسالة التي تسيرها الصبابة المؤثرة، وهو الألم الذي ينصهر في بوتقة الجسم، وهو الدمعة التي تسيل دما وهو الطبيعة كلها تتناجى في روح الشاعر من زهرة إلى شمس تتوارى إلى شراع خفاق، إلى قمر يبتسم له القمر، إلى عصفورة مغتربة تطلق الإرنان، إلى غير ذلك ممّا عانقته نفس الشاعر وانفتحت له حناياه»[1]، فهو شاعر الحب والألم والعتاب.

هـ- خليل مطران الناثر:

مما تجدر الإشارة إليه أنّ خليل مطران من أقدر كتّاب النثر في عصره، فأدبيته لم تقتصر على الشعر فحسب بل تعدّاها إلى النثر، فنثره مفعم سلاسة وسهولة مع متانة السبك وخير دليل على ذلك رواياته المترجمة إلى العربية أمثال "الدسيسة" "ليشللر"، و"تاجر البندقية" "عطيل" لشكسبير، ومسرحيات "كورنيه"، و"يوليوكيت"[2]، فجمال الأسلوب وروعة العبارة تنسيك ما وقع في النص من ترجمة.

5- خصائص شعــره:

يعد ديوان خليل مطران بأجزائه الأربعة مظهرا من مظاهر النزعة التجديدية التي وسم بها شعره، إذ يعتبر بحق رائد من رواد التجديد وفي الوقت نفسه هو حلقة وصل بين التيارين التجديدي والإحيائي، وكذا رائدا حقيقيا للشعر الرومانسي، ولعلّ هذا ما أثرى خصائصه الشعرية، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

- أدخل الشعر القصصي «كنوع أدبي، وكان ديوانه الأول يضم عددا من أشهر قصائده القصصية، والتي تعد أولى المحاولات في الشعر القصصي»[3] بهذا النوع من الشعر برزت روعة الفنّ وحسن السياق، وبلاغة الأسلوب، وجمال التصوير، وعمق التحليل، وهذا ما ميز شاعر الأقطار العربية.

- وقد برزت مظاهر التجديد بعد استحداثه للشعر القصصي وذلك من خلال «تجنبه الوقوف عند القشور والطلاء الخارجي في أي موضوع يتناوله، فإذا وصف الطبيعة مثلا وجدنا وصفه لا

---

[1]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 1025.

[2]- المرجع نفسه، ص 1031، بتصرف.

[3]- سلمى الخضراء الجيوسي، اتجاهات وحركات في الشعر العربي الحديث، ص 89.

يخلو من عاطفة حارة وإحساس صادق يقوم على مزج الشعور بما يصفه ويراه» وهذا ما يظهر في قوله:

لله لبنان ما أبهـــاه من جبـــــل يمشي به الحسن تصويبا وتصعيدا
في كل موقع طرف آية عجب تكفي المنى وتريح الذهن مكـــدودا[1]

من خلال هذه الأبيات يتضح لنا استعمال الشاعر للألفاظ المهجورة أو الحوشية التي لم يعدلها وجود إلاّ في معجمات اللغة والمحفوظ في أشعار المتقدمين مثل لفظة طرف»[2] وهذا ما يدل على تشبث الشاعر بالقديم وتمسكه به، شأنه في ذلك شأن البارودي وشوقي.

-كما مزج الشاعر بين شعوره وما يراه الرائي في الطبيعة، وهذا يبدو واضحا في قصيدته المساء التي يقول فيها:

وَخَوَاطِرِي تَبْدُو تُجَـــاهَ نَوَاظِرِي كَلْمَّى كَدَامِيَةِ السَّحَـــابِ إِزَائـــــي
وَالدَّمْعُ مِنْ جَفْنِي يَسِيلُ مُشَعْشَعَاً بسَنَا الشُّعَاعِ الغَارِبِ المُتَـــــرَائي[3]

– وقد برز شعر المناسبات في أشعار خليل مطران ذلك أنّ المتصفح لديوانه بأجزائه الأربعة تصادفه قصائد يتغنى فيها الشاعر بالأحياء أو يبكي الأموات أو يهنئ بمولود أو زواج...الخ وقد ملأت هذه القصائد ما يزيد من ثلاثة أرباع ديوانه، وهي في الظاهر والباطن قصائد للمناسبة لكن هناك قصائد أخرى، وهي نوع ثان لشعر المناسبة عنده بحيث هي ظاهريا لمناسبة ما لكن الشاعر «لم تلزمه المناسبة بحيث تخطى ذلك إلى أبعاد وغايات اضمحلت فيها ملامح الأفراد والأحداث»[4] معنى هذا أن خليل مطران لم يقع تحت ضغط المناسبة، بحيث لم تتجسد الأحداث ولا الشخصيات في قصائده.

– استقل مطران برؤية شعرية وذلك «باعتماد التقديم أو التنظير في التوجه الشعري العربي الذي ينشد مستفيدا في ذلك من أصالة شاعريته، وثقافته العربية المنفتحة على ثقافات غربية»[5].

---

[1]– عماد علي سليم الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009 ص46.

[2]– إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 83.

[3]– المرجع نفسه، ص 83.

[4]– نفسه، ص83.

[5]– كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ج2، ص 215.

– اعتمد أسلوب التكرار في شعره وهو ما ميزه على معاصريه من شعراء النهضة وهو تكرار يعمد الحرف أحيانا كتكراره الواو في أول الأبيات أو تكرار الأسلوب نحو تكرار أسلوب النداء في الأبيات الآتية:

يَا كَوْكَباً مَنْ يَهْتَدِي بضِيَائِهِ يَهْدِيهِ طَالِعُ ظِلَّةٍ وَضيـــاءِ
يَا مَوْرِداً يَسْقِي الوُرُودَ سَرَابُهُ ظَمَأً إِلَى أَنْ يَهْلِكُوا بضَمَاءِ[1]

– وظّف ألفاظا تاريخية تبعده عن فهم معاصريه وذوقهم ولو بنسبة يسيرة «مثال ذلك الإثمد وعرسات... الخ إذا قرأنا على سبيل التمثيل لا الحصر قصيدة "بنفسجية في عروة"، تطالعنا مفردات وتعابير من هذا النوع كقوله: شنشنة، وعبدها الدنف، وقضى لبناته»[2] وهذا ما يتضارب مع دعوته إلى الحرص على عصرنة اللغة وتطويرها.

– اعتمد الخيال الأعجمي بحيث يعد مطران أول شاعر يوسع صدر الشعر العربي بالخيال الأعجمي ذلك أنه «استطاع تخطي حدود الواقع إلى مجالات الخيال الواسعة، فروى حكايات خيالية في شكل قصصي وهكذا استطاع بلوغ أمرين في الوقت نفسه: أن يتحدث عن وقائع خيالية وأن يكوّن ذلك في شكل قصة»[3] وهذا دليل واضح على رومانسيته.

– وظّف البديع بأنواعه من جناس وطباق ومقابلة في قصائده الشعرية كقوله:

بِالعِلْمِ يُدْرِكُ أَقْصَى المَجْدِ مِنْ أُمَمِ وَلَا رُقِيَ بِغَيْرِ العِلْمِ لِلْأُمَـــمِ[4]

– اهتم مطران في بعض أشعاره بالصياغة والشكل اهتماما كبيرا وحنّ إلى الأغراض التقليدية التي قدسها الشاعر، فافتدى الديار، وتذكر الأيام، وساعات الشجو واللهو...الخ، كما فعل في قصيدته "تذكار" التي قول فيها:

أَيَا دَارَ مَـــنْ أَهْوَى فَدَيْتُكِ دَارًا غُدْت بَعْدَنَا لِلْعَاشِقِينَ مَـزَارًا
تُذَكّرُنِي أَيَامَ أُنْسِي بِقُرْبِهَـــــا قَدِيمًا وَلَيْلَاتِ مُضِينَ قِصَـارًا[5]

---

[1]– إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 84.
[2]– خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 58.
[3]– سلمى الخضراء الجيوسي، اتجاهات وحركات في الشعر العربي الحديث، ص 93.
[4]– خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 57.
[5]– المرجع نفسه، ص 59.

غير أن مطران لم يقتصر في شعره على أغراض معينة، بل نظم في مختلف الأغراض الشعرية التي اعتاد الشعراء النظم فيها كالمدح والرثاء، والاخوانيات، وكان نظمه في هذه الأغراض يجري على مثال سابق أو برنامج مقرر وأسلوبه في ذلك أسلوب السابقين إلا ما ندر»[1] وهذا دليل على تمسك مطران بالأغراض الشعرية القديمة.

– خرج مطران بالشعر من الذاتية إلى الموضوعية وفي هذا المقام يقول الدكتور مندور:

«... إنّ هناك عملاق لم يهاجمه أصحاب الديوان لأنّه لم يكن من دعاة الشعر التقليدي لكنهم مع ذلك لم يحتضنوه، ولا اعترفوا بأستاذيته وتجديده، وتطعيمه الشعر العربي بأصول واتجاهات الشعر الغربي، وخروجه بالشعر من الذاتية إلى الموضوعية وتطويع قوالبه وأوزانه للشعر القصصي والتصوير الدرامي، وهذا العملاق هو خليل مطران»[2]

فرغم تمسك مطران بالأصول العربية التقليدية، وتجديده على مستوى الموضوعات إلاّ أنّ هذا لم يشفع له عند جماعة الديوان، فلم يحتضنوه كمقلد ولم يعترفوا به كمجدد.

– اكتسب شعر مطران النزعة الإنسانية ذلك أنّه عبّر بشعره عن واقعه «وقد تجلت هذه النزعة في مواجهته للقضايا العامة والمسائل الاجتماعية وتجاربه مع المجتمع بمختلف طبقاته ولم يخجل من القضايا التي ترّفع عنها الشعراء الآخرون وعرضها، أو تلك التي نظروا إليها نظرة مختلفة.

وبعبارة أخرى لقد دعم مطران حقوق الإنسان وفتح له باب الحياة على مصرعيه... وناصر المستضعفين، والمقهورين في مجتمع ساده الاضطهاد والحرمان...»[3] فهو شاعر إنساني بطبعه لأنه عالج قضايا اجتماعية تمس الفئة المحرومة والمستضعفة في المجتمع.

– كما خرج خليل مطران بالشعر «عن نطاق شخصية الشاعر، وتميز شعره عن غير بالمعنى المبتكر والتصوير القوي، الذي يرجع إلى العقل أكثر مما يعتمد على العاطفة»[4] فشعر مطران لم يكن شعرا وجدانيا منبثقا من العاطفة فقط، بل تعدى ذلك بإعمال العقل عن طريق التصوير القوي والمعنى المبتكر.

---

[1]– خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص53.

[2]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 89.

[3]– خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 71.

[4]– المرجع نفسه، ص66.

– ولعل أعظم ما قام به مطران التزامه بالوحدة الموضوعية بحيث لم يتقيد لا بوحدة البيت ولا بقافية ووزن واحد، بل تجرأ على تجديد القوافي وتنويعها وتجديد الأوزان وابتكارها، بتغيير القافية في بعض قصائده بعد كل بيتين أو ثلاثة أو بعد كل مقطوعة من مقطوعات قصيدته.

– كما لجأ في بعض محاولاته إلى توحيد قافية الأشطر لا الأبيات فحسب، وهذا ما أكده خليل مطران في مقدمة الجزء الأول من ديوانه "ديوان الخليل" بقوله: «هذا شعر ليس ناظمه بعبده ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح، ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ولو أنكره جاره، وشاتم أخاه، ودابر المطلع وقاطع المقطع وخالف الختام، بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته، وفي موضوعه، وإلى جملة القصيدة في تركيبها وترتيبها، وفي تناسق معانيها وقوافيها مع ندور التصور، ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشغوفه عن الشعور الحر، وتحري دقة الوصف»[1].

أما فيما يتعلق بالبحور الشعرية فإن مطران لم يلتزم بالبحر الواحد في القافية الواحدة بل نجده يتلاعب بالتفاعيل ويتصرف في تركيبها وهذا ما نجده في قصيدته "تهنئة بمولود".

وقبل أن نختم حديثنا عن المبنى في شعر مطران لابد من الإشارة إلى ميزة هامة في صياغته، والتي استغلها بمهارة في تصوير الشخصيات وهي «ميزة الحوار والذي جاء خالصا في بعض قصائده، لاسيما القصصية منها»[2] فالقصة تعتمد عنصر الحوار لمحاكاة الشخصيات واعتمده مطران في قصصه الشعرية باعتباره عنصر من عناصرها، مثال ذلك: قصة الجنين الشهيد، حكاية عاشقين.

6- المرأة في شعر مطران:

تبدو صورة المرأة في شعر مطران ضبابية غير ظاهرة، فهو من بين الشعراء الذين تعددت أسماء النساء في شعرهم، وهذا ما نجده في شعر من سبقه وخاصة عنترة، فالخليل في كل موضع من قصائده يذكر اسما لامرأة، فمن سعاد وأدماء إلى هند وليلى وماريا ثم يقول: «في مقدمة حكاية عاشقين إنه سمى المعشوقة أسماء متعددة لتخفى حقيقتها، وتنصرف عنها الظنون، فالخليل متكتم التكتم كله، وهو يعمل بكل ما أوتي من جهد على الاحتفاظ باسم من يحب، وتراه سالكا سبل المداورة ليصرف الأنظار عن حقيقة العاشقين اللذين أحبّا بعضهما حبا

[1]– كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ج2، ص 215.

[2]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص 138.

صادقا، فالتقيا ونعما وشقيا، حتى إذا كان الفراق مفجعا ومرت على الفراق السنون، فراح الخليل يناجي حسناءه في قصيدة "هو أنت" بقوله:

يَا مُنَّى القَلبِ ونور العيــن مذ كُنْتِ وَكُنْـــــــتُ
لم أشأ أن يعلم النّـــــاس بما صُنْتُ وصُنْـــــتِ
إن لَيْـــــلايَ وهِنْـــــدِي وسعــادي من ظننـــــت
تكثــر الأسمــاء لكـــن السَّمَــى هُــو أنـــتِ[1]

يتبين لنا من خلال هذه الأبيات حقيقة تكتم وتستر الخليل عن امرأة حياته وحبيبته، فقد نشر كاتب أديب في إحدى الصحف اللبنانية مقالا عن خليل مطران ظهر قبل وفاته بسنوات جاء فيه: «سألت الخليل مرة عن امرأة حياته فقال: إنّ القصة طويلة لن أقصها عليك، ولكن ثق أنه كانت امرأة في حياتي وأنهــا لا تزال حتى اليوم وستبقى ما بقيت فسألته: هل تغنيت بها؟ فأجابه: كثيرا وهاك آخر ما قلت فيها:

فشاب بنو ليلى وشاب بنو ابنها وحرقة ليلى في الفؤاد كما هي»[2]

نستخلص من هذا أن ميل الخليل إلى صرف الظنون عن حبيبته هو الذي حمله التستر فمما لاشك فيه أن مطران قد عرف امرأة وأحبّها وهذا ما يلمسه القارئ في شعره.

[1]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، ص79، بتصرف.

[2]– المرجع نفسه، ص79.

الفصل الثاني:

ملامح الشعر القصصي

عند خليل مطران

الفصل الثاني:

ملامح الشعر القصصي عند خليل مطران

1- مفهوم القصة الشعرية

2- خصائصها

3- مصادرها

4- أنواعها.

5- تحليل قصيدة "الحنين الشهيد" أنموذجا.

1- مفهوم القصة الشعرية:

لقد طرقت القصة الشعرية الحديثة والمعاصرة مختلف الميادين، بحيث جسدت الحياة بكل موضوعاتها وألوانها وحقائقها، وبهذا أصبحت محورا وإطارا تنعكس فيه مختلف العواطف والأحاسيس والمشاعر.[1] وهذا يعني أن القصة نسجت جوانب حياة الناس في العصر الحديث بآلامها وأحلامها، باعتبار أن الحياة في حد ذاتها قصة.

ومن هنا يمكننا اعتبار الشعر القصصي نوعا من الأنواع الشعرية التي اهتم بها الشعراء في العصر الحديث، وخاصة خليل مطران الذي استحدثه كنوع أدبي له ميزاته الخاصة به، بحيث كان ديوانه الأول يضم عددا من أشهر القصائد القصصية.

كما حاول بعض الأدباء تحديد مفهوم هذا النوع من الشعر حيث عرّفه عيسى سبأ بقوله:«هو أن يعمد إلى حادثة تاريخية أو واقعية محلية جرت، تتجلى فيها نزعة قومية إما بطولية أو عاطفية...، والنظم القصصي لا يتأتى إلّا لشاعر موهوب الذي يحس إحساس أصحاب الحادثة، فيجعل من بيانه بيانا لهم، وهذا النوع من الأدب هو أجل الأنواع عندي وأرفعها»[2] نفهم من هذا القول بأن تصوير الحادثة في القصة الشعرية تاريخية كانت، أم واقعية أم بطولية أم عاطفية، تعتمد على الموهبة والعفوية بالدرجة الأولى في نقل إحساس أصحاب الحادثة، ولم يقتصر مفهوم القصة الشعرية على هذا التعريف بل تعدّاه إلى مفاهيم أخرى منها:

تعريف عزيزة مريدن والتي اعتبرت الشعر القصصي في «لجوء الشاعر إلى حادثة تاريخية وواقعية محلية جرت، تتجلى فيها النزعة القومية، أو يتطرق فيها الشاعر إلى موضوع عاطفي معين. وقد يكون النظم في القصيدة إمّا سردا أو حوارا يستخدم فيه الشاعر الكلمات الرقيقة والعبارات الرّنانة التي تؤثر على القارئ، فيتخيل ويصور الحادثة باستخدامها... ولا يمكن لأي شاعر أن يتمكن من النظم القصصي إذا لم يكن موهوبا ذا إحساس بالحادثة التي يرويها[3] فصدق الإحساس يترك أثرا في المتلقي من خلال الكلمات العذبة والرقيقة والعبارات الرنانة ويكون ذلك باستخدام الخيال في تصوير الحادثة.

---

[1]- ينظر: عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط 1988، ص52

[2]- عيسى سبأ، شعراء القصة والوصف في لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط، 1961، ص33.

[3]- عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ص18.

وبصورة عامة فإن الشعر القصصي: « هو كل شعر يتناول قصة حدثت في الواقع أو يحتمل وقوعها، بشيء من التفصيل وباعتماد أهم عناصر القصة»[1] فالقصة حدث والحدث فعل والفعل زمن والزمن ماضي وحاضر ومستقبل.

كما تطرقت بعض المعاجم إلى مفهوم القصة وهذا ما نجده عند مجدي وهبة في معجمه المصطلحات العربية في اللغة والأدب إذ يقول: «القصة الشعرية Metrical romance ballad ويراد بها خاصة تلك القصص التي تتناول مغامرات الفرسان والملوك في العصور الوسطى، وكانت تكتب شعرا سهلا باللغة المحلية في غرب أوروبا في العصور الوسطى ويغلب تقسيم هذه القصص الشعرية حسب مادتها المشتركة إلى ثلاثة أقسام:

1- ما يسمى بموضوع بريطانيا الذي ينقسم بدوره إلى ما يسمى بموضوع الملك آرثر بمعنى قصص هذا الأخير أساطيره وفرسانه، وما يسمى بموضوع الانجليز الذي يتناول قصص القبائل الانجليزية وأساطيرها[2] مثل ملحمة الملك هورن King Horn، في حين أن قصص الملك آرثر أغلبها من أصل كلي من مقاطعة بريتاني في شمال غرب فرنسا.

2- ما يسمى بموضوع فرنسا ويشمل مغامرات الملك شارلمان وفرسانه وخاصة في حروبهم ضد الجيوش العربية.

3- ما يسمى بموضوع روما يتضمن بعض الأساطير الرومانية،كما يتضمن مع ذلك قصص خاصة بالاسكندر وأبطال حروب طروادة، وأهل الكهف وأساطير أخرى من أقصى الشرق، وقد لعبت هذه القصص الشعرية دورا هاما في إخصاب خيال الشعراء الرومانتيكيين بأوربا في أوائل القرن 19م، وقد ألفوا قصصا شعرية بها مثل: "هذا الجو من المغامرة والأسطورة" كما فعل "ألسيرو والتيرسكوت" في قصيدته الطويلة "سيدة البحرية"»[3] يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن الجانب الأسطوري والتاريخي عرفا سيطرة واضحة على القصة في مراحلها الأولى.

2- خصائص القصة الشعرية: لقد تعددت خصائص القصة الشعرية والتي يمكن حصرها فيما يلي:

السرد: أي تقديم أحداث القصة.

---

[1]- عيسى سبأ، شعراء القصة والوصف في لبنان، ص199.

[2]- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط2، 1984، ص191.

[3]- المرجع نفسه، ص191.

الوصف: أي إبراز ملامح شخصيات القصة.

الحوار: وهو الذي يطغى على باقي العناصر التي يمكن أن تتوفر في القصة[1] باعتبارها محرك الحدث القصصي.

إضافة إلى هذه الخصائص التي تعد ركيزة كل حدث قصصي مهما كان موضوعها توجد بعض الخصائص الأخرى التي تعتبر بمثابة المكمل الجمالي والفني للقصة وهي ثلاثة:

- سمو الخيال، سواء أكان ذلك في ابتداع الموضوع أو ابتداع الطريق الموصل إليه.
- قوة التشويق أو جمال التدرج بعرض الحادثة مما يزيد النفس شوقا للكشف عن غرضها.
- حيوية النظم أو قوته على إثارة الفكر والخيال والعاطفة.

وقد كان في القديم شيء قليل من القصص إلّا أنّه من باب "حكايات الحال" التي تقع عليها في شعر عمر بن أبي ربيعة وأبي نواس وغيرهما[2] والحقيقة أن القصة لم تصبح بابا من أبواب الأدب العربي إلا بعد احتكاكنا بالأدب الغربي، وخير مثال على ذلك خليل مطران الذي استحدث هذا النوع من الشعر، فأعطى له سمات جديدة، وكل هذا ساعد محب البحث في تكوين فكرة عن هذا الفن الأدبي الجديد، ولا بد من القول هنا إن هذا النوع من الأدب هو أكثر نتاج القرن الحاضر، ويلاحظ فيه تطور وذلك في خروج الشاعر عن نفسه إلى العالم الذي حوله، فليس ما يقصه علينا حكاية حال خاصة فقط، وإنما هي إبداع جديد استقى مادته من مصادر شتى.

3- مصادر القصة الشعرية: لقد استقى مطران موضوعات قصصه من مصادر متنوعة أتيحت له فاستغلها أحسن استغلال :

1- المصدر التاريخي:

لقد استمد خليل مطران مادته الشعرية من المصدر التاريخي، وقد ساعده في ذلك اتساع ثقافته التاريخية، حيث قدّم لنا قصائد رائعة نابعة من التاريخ القديم والحديث[3] ويمكن ذلك الاستغلال بتوظيفه للخيال مع شيء من التصوير، فقد استوحى التاريخ الروماني القديم واستمد منه قصيدة "نيرون"، كما استمد من التاريخ الفارسي القديم قصيدته "مقتل بزرجمهر"، وكذلك كان التاريخ الحديث مصدر وحي وإلهام بالنسبة إليه، فقد أوحى إلى مطران صور عديدة فنظم فيها

---

[1]- عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ص36، بتصرف.

[2]- أنيس مقدسي، الاتجاهات الأدبية في العصر الحديث، ص391.

[3]- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص74.

قصصا متنوعة، كما في قصائد (1870/1806) و"فتاة الجبل الأسود" و"الطفلة البويرية"، "فنجان قهوة"[1] وهو في قصصه هذا ثائر على الظلم والاستبداد ويستغل القصص والحوادث التاريخية يغلّف بها بذور ثورته ونقمته.

2- المصدر الاجتماعي:

لم يأخذ مطران مادته من التاريخ فقط بل التقطه أيضا من صميم الحياة الاجتماعية والبيئية التي يعيش فيها وسكب فيها ما شاء من أحاديث[2] معنى هذا أن مطران استقى بعض قصائده من الحياة الواقعية، فاستغل الأحداث التي عاصرها وسمع عنها حيث التفت في مجملها إلى أحداث الحب والغرام والمشاكل الاجتماعية أو النوادر، فقصيدته "فاجعة في هزل" قصة حب جرت وقائعها في إحدى القرى اللبنانية ذكرها للشاعر بعض الشهود، فنظمها بواقعها ولم يتدخل في أحداثها والكثير من قصائده قصص أحداث عاصرها بواقعها ولم يتدخل في أحداثها، ومن ضمنها تلك القصص التي عايشها الشاعر في مصر أو شارك بنفسه في أحداثها مشاركة عملية من ذلك "حكاية عاشقين"، "الجنين الشهيد"، "الوفاء" "الطفل الطاهر والحق الظاهر".

3- القصص الشعبي والأساطير:

استقى خليل من مصدر ثالث بالإضافة إلى مصدريه السابقين وكان هذا المصدر بعيدا عن متناول الشعراء آنذاك، وهو القصص الشعبي والأساطير، وقد خاض فيه مطران في وقت كان فيه الناس ينظرون إلى الأدب الشعبي نظرة احتقار وازدراء، ويرون فيه واقعا لا يصح أن يرتقي إلى الأدب الأرستقراطي، وقد غلب على قصص مطران الشعبي طابع القصص التي كان يسمعها ويتمثل ذلك في قصيدته "إنّ من البيان لسحرا" وهي حكاية شاعر في إحدى قبائل البادية أخذ يقص على ربابته الأحاديث الساحرة لفتيات الحي وخاصة "قصة الأمير مهند" وقصته "شهيد المروءة" و"شهيد الحب" التي قدمها بقوله:

حادثة غريبـــــة ما هي بالمكذوبة
أنقلها ممثلـــــــة مجملة مفصلـــة
كما جرت أمامي في قرية بالشـــام[3]

لقد ارتقى خليل مطران بالأدب الشعبي، ولم يحتقره فضمنه في شكل قصصي راقي ليرى فيه المتلقي واقعا يصح أن يرتقي إلى الأدب الأرستقراطي.

---

[1]- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص74.

[2]- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد، ص133.

[3]- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص75، 76.

أمّا الأسطورة الشعبية فأبرز ما يمثلها عند مطران قصيدته "اللبن والدم" وهي قصة عالم أحال اللبن دما على مائدة أمير ظالم، وقصيدته "الاقتران" وقد أنشدت في حفل زفاف وفيها تعرض مطران إلى الأسطورة الدينية (خلق حواء من ضلع آدم)[1] فالأسطورة كانت مادة خام لقصص مطران الشعبية.

وبصورة عامة تباينت قصص مطران في اتجاهها وموضوعها، فهناك القصص العاطفية التي تميزت بنهايات مأساوية والقصص الأخلاقية التي تمثل الصراع بين الفضيلة والرذيلة وبين الخير والشر، ومنها القصص البطولية وفيها مجدّ مطران بطولات الأفراد والشعوب من خلال سير التاريخ لتكون عبرها واقعا وأحلاما ومجدا، ثم إن هذا التنوع في مصادر القصة الشعرية عند خليل مطران أفرز اتجاهين (محافظ، مجدد)[2] فالشاعر الحقيقي يعود إلى القيم الكلاسيكية دون أن ينسى تجارب التجديد وهذا الطابع باتجاهيه سمة جوهرية من سمات شعر الخليل، وهي السمة التي تعتبر مثالا نادرا للربط والجمع والتوفيق الناجح بين العناصر التقليدية وعناصر التجديد في تاريخ الشعر العربي الحديث.

4- أنوع القصة الشعرية:

لقد تعددت أنواع القصة الشعرية بتعدد مصادرها حيث استقت من التاريخ الأسطورة فأنتجت القصة التاريخية، واستقت من الذات العاطفة والوجدان فأنتجت القصة الشعرية الوجدانية، وجعلت المجتمع والحياة تنبع قصصا اجتماعية، وأخيرا التفتت إلى الأحداث القومية والوطنية فنسجت حولها قصصا موفقا[3] فالتاريخ والوجدان والمجتمع منبع لكل قصة شعرية كانت أو غير شعرية.

أ-القصص الشعري التاريخي:

لقد نالت القصة الشعرية التاريخية اهتماما بالغا من طرف الشعراء، فقد وجدوا في التراث التاريخي (الشعبي والأسطوري) مادة أصلية للاستلهام، فاستقى من الأحداث الهامة وأحيوها وعرضوا مآثر العرب والجوانب البطولية لهم، ومن بين هؤلاء الشعراء خليل مطران

[1]- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص 76.

[2]- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص1019، بتصرف.

[3]- عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ص55، بتصرف.

الذي نسج من بعض الشخصيات البارزة قصصا شعرية ناجحة أمثال "نابليون"، حيث يذكر انتصار نابليون الأول على روسيا في "معركة ايانا". [1]

والقصص التاريخ يلجأ إليه الشاعر ليفرغ فيه نقمته على الظلم دون أن يعرّض بأحد من الحاكمين، يتناول شخصية تاريخية عرفت بالاستبداد أمثال "كسرى" و"نيرون"[2] ومن هنا يسكب ثورته على الطغاة الظالمين ويقرع الشعوب المستكينة المتخاذلة وينفخ في أبنائها نار الثورة بطريقة غير مباشرة مثال قوله قصيدة "نيرون":

قال نيرون بأقصى ما أشتهي ... محرقا "روما" ليستبدع فكـــــرا

شبت النار بـــها ليلا وقـــد ... رقدت أمتها وسنا وسكـــــــرا

جمعت أقسام "رومـــا" كلـــها ... في جحيم تصهر الأجسام صهرا[3]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات أن "نيرون" كان شخصية ظالمة ناقمة حيث قام بحرق مدينة "روما" ليفرض سيطرته، غير أن هناك قصائد ثائرة متحررة صريحة وهي بخلاف القصائد التاريخية الأولى التي تصور التعسف والظلم والجبروت من قبل الحكام الطاغين، حيث يقولها الشاعر دون خوف أو وجل يتحدّى السلطان ويتناول حوادث معينة، يشجبها بجرأة وصراحة مثال ذلك قوله:

أين التفرد من مشورة صـــــــادق ... والحكم أعدل ما يكون جـــــدالا

إن يجهل الشعب فالحكم الخليق به ... وحق العزيزين من وال وسلطان

أو يرشد الشعب يمس الأمر في يده ... ولا اعتداد بأملاك وأعيـــــــان[4]

يصور لنا خليل مطران في هذه الأبيات النفس المنتفضة الثائرة على الظلم والاستبداد والتي ترى أن أعدل الحكم ما كان شورى، ومن مجموع ما نظمه خليل مطران من شعر ثوري تاريخي تسع قصائد هي: "السور الكبير في الصين"، "الأهرام"، "مقتل بزرجمهر"، "فنجان قهوة"، "حرب غير عادلة ولا متعادلة"، "فتاة الجبل الأسود"، "عتاب واستصراخ"، "في ظل تمثال

---

[1]– خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، ص72.

[2]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد، ص144

[3]– عباس صادق، موسوعة أمراء الشعر العربي، ص187.

[4]– حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص1030.

رعمسيس"، "نيرون"[1] فهذه القصائد كانت أكثر تجاوبا مع آلام الشعب وآمالهم، ثائرة على الظلم والاستبداد، مطالبة بالحرية.

سمات القصة التاريخية: تميزت القصة التاريخية بمجموعة من الخصائص هي:

- تناول الشاعر الحادثة كما وقعت في التاريخ مع إضفاء لون من الخيال.
- تنوع أسلوب الشاعر.
- تميز القصة التاريخية بالتلميح بدلا من التصريح.
- اعتماد الشاعر على الحادثة أو الواقعة قبل أي عنصر آخر.
- تنوع المصادر التاريخية عند الشاعر من أسطورة وقصص شعبية وشخصيات بارزة.
- الصدق في عرض الأحداث التاريخية.
- اعتماد الغرض الواحد في تكوين القصيدة مثل "نيرون"، " السور الكبير"، "الطغاة".
- الدعوة إلى محاربة الظلم والاستبداد وإشعار الشعوب بحقها في تقرير مصيرها[2]

ومن هنا نخلص إلى أن قصص مطران التاريخي صورة من تاريخ البشرية بعضها واقعي مثل قصيدة "كسرى" و"نيرون" حيث تعرضتا للاستبداد والظلم من قبل الملوك، وأكثرها محتمل الوقوع ممزوجة بخيال الشاعر مثل القصة الأسطورية.

فالقصة التاريخية هي أروع القصص التي كتب فيها الكثير من الشعراء، لأنها تروي لنا أحداث وقعت وتمجد شخصيات وأبطال معروفة في تاريخنا الإنساني والعربي خاصة، فالتاريخ حافل بالأحداث مما جعل منه مادة غزيرة لكثير من الشعراء، كما تكثر في هذا النوع من القصص الصور البيانية والإيحاءات.

أ- **القصص الشعري الاجتماعي:** لقد استطاع خليل مطران أن ينال السبق في هذا اللون الجديد من الأدب، فهو كغيره من الشعراء استقى موضوعاته من آفات المجتمع بما فيها من جهل وانحراف ورذيلة، باعتبارها مصدرا ثريا لإبداعاتهم القصصية، لذا نجد هذا النوع سريع الانتشار بين أوساط المجتمع لما يحويه من مضامين إنسانية وذلك لغرض الإصلاح.[3]

وهذا النوع من الشعر يوجه إلى النشأ قصد تربيته وتوجيهه وجهة صحيحة، كما أن القصص الاجتماعي لم يأخذ مادته من التاريخ فقط عند هذا الشاعر بل التقطه من صميم الحياة

---

[1]- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد، ص147.

[2]- عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ص190.

[3]- المرجع نفسه، ص273.

الاجتماعية والبيئة التي يعيش فيها، وثورة خليل مطران على الأوضاع الاجتماعية من جهل وفقر وانحراف لا تقل أهمية عن ثورته على الأوضاع السياسية.

لقد نظم مطران قصائد ثائرة متحررة صريحة دون خوف أو وجل حيث يقول:« إن هناك نوعين من الشكوى، الشكوى من تصرفات القدر كالموت والمرض وغيرهما، والشكوى والظلم الاجتماعي كالفقر والحرمان والاستبداد، وقد يقول الشاعر أن الناس لا يكفون عن الشكوى فمالي أعيد ما يقولون ولكن الشكوى هي صرخة عن نفس معذبة وصرخة الفكر الراغب في الإصلاح وقد شكوت أن في قصائدي كثيرا فليس من قصيدة كتبتها إلّا وفيها تنديد بالظلم الاجتماعي وتطلع إلى المساواة والحرية والعدل» ثم يضيف قائلا:

« .... فإن الظلم والتفاوت وتحكم القوي في الضعيف أمور غير طبيعية من الممكن أن تزول»[1] فالشاعر من خلال القصص الاجتماعي صوّر آلام الشعوب وانعكاساتها على نفسيتهم وأحوالهم، وتنديده بالإصلاح دليل على دعوته لتطوير الفكر والرقي به وذلك بمساعدة الحركات العامة العنيفة التي جرت في العالم من ثورات وحروب.

سمات القصص الشعري الاجتماعي: امتاز هذا النوع من الشعر القصصي بسرعة الانتشار بين أفراد المجتمع، ذلك أن أشعار مطران تصدر في الحقيقة عن اختباره لموضوعاته القصصية من حكايات المعاناة والفقر والخديعة والموت والبطولة والإخلاص وجلائل الأعمال.

– اعتبار المرأة الشخصية المحورية في هذا النوع الشعري لأن معظم قصص مطران تدور حول الأم والأرملة والفتاة الفقيرة، ففي قصيدته الوفاء مثلا يقص الشاعر قصة فتاة عوادة حيث يستهل قصته بوصف محاسن الفتاة التي أثارت الطواف متسولة محافظة على شرفها، فكان أن رآها فتى وسيم الطلعة وغني فغازلها فأبت وأعرضت عنه، فحاول أن يتقرب إليها بالمال فصدته، ثم صادفها ذات يوم في روضة وأخذ يتوددها فاستبانت صدقا في كلامه، فكشفت له عن رقة حالها فتعاهدا على الحب والوفاء، ولكن شاءت الصدف أن ينزل بالفتاة داء قاتل فيحنو عليها خليلها ويتوجع على آساها قلبه، فتطلب منه الابتعاد عنها لإحساسها باقتراب موتها، ولكن الفتى الوفي يأبى أن تموت حبيبته ويعيش بعدها، فما أن رحلت من عالمه حتى قتله اليأس ولحق بها إلى العالم الآخر.[2]

[1]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد، ص145، 146.

[2]– المرجع نفسه، ص135.

– هكذا تنتهي القصة وقد صوّر فيها مطران الوفاء أحسن تصوير فالوفاء قضية اجتماعية رغم أنها رومانسية في طابعها العام، لذا فقد دام الوفاء بين المتحابين رغم الفوارق الاجتماعية الموجودة بينهم، فقصته التي تنتهي بمأساة متوفرة على شروط القصة من عرض وعقدة وحل وهذه الخاصية وغيرها متوفرة في الكثير من قصائده مثل: "الوردة والزنبقة"، "بنت شيخ القبيلة" "الجنين الشهيد"، "حكاية عاشقين"، "طفلان".

– اعتماد خليل مطران على عنصر السرد في نظم قصصه الشعرية، مما يجعل القارئ أكثر تشوقا للوصول إلى النهاية وهذا ما نجده في جلّ قصصه منها: "الجنين الشهيد" "طفلان".

– لجوء مطران إلى الطباق متعمدا لجعل الصورة مزدوجة، وهذا ما نجده في قصيدته "الجنين الشهيد" بحيث يظهر هذا الطباق وكأنه يضع مرآة داخل مرآة.

– اتساق أحداث القصص الشعري الاجتماعي عنده، إذ لا مجال للإخلال في سياقها، كما أنه لا سبيل للتقديم أو التأخير أو الزيادة أو النقصان.[1] ومن هنا فهذه الخصائص دليل واضح على شخصية مطران الاجتماعية حيث أن معظم قصائده تظهر فيها دقّة ملاحظته لرؤية والتقاط المشاهد، فيصف الوفاء ويصف الفقر ومآسي الحياة والفوارق الاجتماعية ويدعو إلى إنصاف المظلومين.

ج– **القصص الشعري الوجداني:** بما أن النزعة الرومانسية كانت تتآلف مع ذات الشاعر وثقافته فقد كان إمام هذه النزعة بامتياز فعبّر عنها في قصائد غنائية وجدانية كقصيدة "المساء" كما تتجسد هذه النزعة غالبا في القصائد القصصية ذات المنزع الميلودرامي، الذي يمثل فاجعة العواطف وغرابتها واستشهاد أصحابها في دنيا الواقع والقدر.

وفي ديوانه مطوّلة تجري على أناشيد متعددة دعاها "قصة عاشقين"، وهي تتحدث عمّا جرى له مع فتاة أجنبية، ثم وشجت بينه وبينها عاطفة مشبوبة أي عاطفة غرامية قوية، وقام النزاع على الوفاء والصدق والإقبال والصدّ والقرب والفراق والعتاب والشكوى...، إلى أن فارق بينهما الموت فبكاها وعزم أن ينظم كل عام قصيدة في ذكرى موتها.[2] وهذه المطولة تنبض بروح الرومانسية التي تمثل المواقف العاطفية الفاجعة والحتمية التي تسير المحبين والقدر الذي يتربص بهم.

---

[1]– عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ص273، بتصرف.

[2]– إيليا الحاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، لبنان، ط2، 1983، ص234، بتصرف.

سمات القصص الوجداني: تباينت مضامين قصص الحب التي عالجها خليل ومن هذه القصص ما كان في ضوء التقاليد الاجتماعية فحالت دون التقاء المتحابين، ومنها ما تناول مشكل الفوارق الاجتماعية بين المتحابين مما أبدى رفض ومعارضة الوالدين أو استغلال القوي للضعيف وانتهاك عرضه.

– اعتماد خليل مطران على النزعة الرومانسية في تناول قصصه العاطفية ومعالجتها إلى جانب استعمال طريقة السرد والوصف والحوار.[1]

– يفهم من خلال هذا أن القصص الوجداني يبدو من أكثر القصص تأثيرا على القارئ، لأنه نابع من أعماق الإنسان ووجدانه، كما أنه تجسيد لتجارب واقعية في معظم الأحيان، لذا فالقراء يميلون إليه ويتجاوبون معه فعاطفة الحب من أقوى العواطف التي تستلب القلوب وتستميل العيون.

د– الشعر القصصي الثوري (القومي): نظرا لكثرة الاستعمار الذي طغى على الدول العربية والذي ظهر تارة باسم الحماية وأخرى باسم التمدن، كان حتميا على الشاعر أن يتجاوب مع هذه الأحداث ويثور على الظلم وكان من حظّ الشعر العربي أن مطران وُجِدَ ليكون أوّل شاعر ثائر متحرر على تلك الأوضاع فابتعد بذلك عن الشعر الرسمي وعن أي وظيفة رسمية تقيّده، فكان أكثر حرية وتجاوبا مع آلام شعبه لذا نجده يهاجم الظلم لبغضه، ويطالب بالحرية لا لشعب أو أمة دون أمة بل للإنسانية جمعاء.[2] فدعوته لم تقتصر على المطالبة بالحرية ومجابهة الظلم للشعب اللبناني فحسب وإنما للشعوب المضطهدة كافة.

وفي قصيدة "فتاة الجبل الأسود" يصوّر ثورة الجبل الأسود على الاستعمار التركي ويصوّر الحرب التي تدور رحاها بين الأتراك الغاصبين وشعب صغير يستميت في الدفاع عن حريته وكرامته، ولكي لا يفتح عيون الأتراك عليه وهو عدّوهم القديم، يصوّر لنا أمة باسلة متمرسة على الحروب، وهو في تصويره هذا يمدح أهل الجبل الأسود بطريقة غير مباشرة لمحاربتهم تلك الدولة القوية وانتصارهم عليها إذ يقول:

---

[1]– عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ص203، بتصرف.

[2]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد، ص146، بتصرف.

ما الترك إلا شيوخ الحرو ب ومرتضعوها من المولد

إذا ألقحوها الدمـــاء فـــلا نتاج سوى الفخر والسؤدد [1]

صوّر لنا الشاعر في أبياته هذه ضعف الأتراك إذ رمز لهذا الضعف بالشيوخ والرضع، لكن رغم ضعفهم هذا إلّا أن عزيمتهم كانت أقوى ممّا مكنّهم ليصبحوا فيما بعد مفخرة لكل الشعوب.

خصائصها: من خصائص القصة الشعرية نذكر:

– الثورة على الظلم والاستبداد والدعوة إلى الوعي القومي وإلى مقاومة الطغيان.

– بعث الحماس والأمل في الشعوب والتطلع إلى تحرير الأوطان.[2] بواسطة هذا النوع من القصص نما الوعي القومي والسياسي للشعوب، وتفطنت لنوايا الاستعمار الحقيقية فطالبت بالتحرر دون خوف أو تراجع.

– لقد تطورت القصة القومية نتيجة للتطور التاريخي، إذ نجدها تعمد بداية على التلميح بدلا من التصريح نتيجة القمع الاستعماري.

– التوفيق في بناء القصة وإحكام نسجها[3]، فالقصة مهما كان نوعها لابد من إحكام بنائها وإذا انعدم هذا الشرط اختل توازنها وتشتت انسجامها.

وخلاصة قولنا في هذا الباب إن الحياة تندمج في وجدان الخليل من وجهها العام الذي يشترك فيه كل الأحياء، وهذا ما يثبت أن نظرة مطران للحياة واسعة الأفق، ذلك أن مطران في شعره يؤمن بالفضيلة ويدعو لها، وهو ينزع نحو التعليم والتهذيب "الجنين الشهيد" و"الوفاء" وهو شغوف بالمآسي فكثيرا ما تنتهي قصصه بمأساة فيموت البطل أو البطلان كما في قصائده "الوفاء"، "فنجان قهوة"، و"الطفلان"، ويميل مطران أحيانا إلى التحليل في قصصه فيحلل شخصياته تحليلا نفسيا وافيا كما في "الجنين الشهيد"، ثم إن البطولة والحب يذهبان بنصيب كبير من شعره القصصي، وشعره هذا مهما كان نوعه على العموم متين السبك حسن الديباجة.[4]

---

[1]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد، ص151.

[2]–حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص1019، بتصرف.

[3]– عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ص357، 358.

[4]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد، ص158، 159، بتصرف.

على الرغم من الطابع السردي الغالب على أسلوب الشاعر فقد وقف في تطويع الأسلوب لمقتضيات القصة وتَنَقُلِهَا بين الأجواء والأحداث المادية موازيا بين الرصانة والمرونة في التصوير والبناء.

تحليل قصيدة "الجنين الشهيد" أنموذجا:

1- ملخص قصة "الجنين الشهيد": تعد قصة "الجنين الشهيد" من أرقى القصص الشعري الاجتماعي عند خليل مطران وهي قصة تدور كما يقول الشاعر حول حادثة جرت في مصر وقد حضر وقائعها فوصفها بحقيقتها لتكون تذكرة وعبرة، وقد صاغها في نحو 114 دورا خماسيا وملخصها: أن فتاة حسناء فلاحية الأصل جاءت إلى مصر مع والديها للارتزاق، وكان والداها بائسين، ومن ذوي النفوس المنحطة، فدفعاها متنكرة باسم "ليلى" إلى التسول، ثم إلى العمل في بعض الحانات التي يرتادها خلعاء الشبان، ولم تخل في بدء عملها من خجل وحياء، ولكنها لم تلبث أن فقدتهما في الحانة، إذ تعودت مباسطة الشاربين وإغراءهم على التمادي في الشرب والإنفاق، وشعرت يوما أن أحدهم واسمه جميل، يميل إليها ويظهر الهيام بها فأظهرت له التودد علّه يتزوجها فتترك خدمة الحانة وتعيش معه عيشة عائلية راضية، وفعلا وعدها بذلك فأعرضت عن سائر الشبان وخصته بأنسها وقربها فأثار ذلك غيظ أحدهم فأغلظ لها الكلام، لكن جميلا بارزه وانتصر عليه، ثم حملها إلى مكان آخر حيث قضيا الليل معا بعد أن أملّها بالزواج العاجل، وتمر الأيام فإذا ليلى حامل وجميل لا يزال يخادعها ويماطلها وهي ترجو وفاءه بالوعد إذ يقول الشاعر:

وظلَّ جميل لا يفي دَيْنَ وعـــــده وليلى ثبوت في صيانة عهده
وتهواه حتى في إساءة قصـــــده وتحمل منه المطل خشية بعده
وتقبل منه ما يمر وما يحلـــي[1]

من خلال هذه الأبيات نفهم المعاناة التي مرت بها ليلى بعد إخلاف "جميل" لوعده لها. ولما كاد أمرها يفتضح تجلت لها الحقيقة المؤلمة، أن جميل كاذب وقد خدعها، فلم تر بدا من قتل جنينها قبل القضاء عليه، وفي هذا السياق يقول الشاعر:

فيا ولدي المسكين فلذة مهجتـــي ويا نعمة عوقبت فيها بنقمة
ومن كنت أرجو لسعدي وبهجتي وكان يناجيه ضميري بمنيتي
وآمل أن يحيا ويرجع لي بعلي

[1]- أنيس مقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، لبنان، ط9، 1998، ص232.

تموت ولمّا تستهل مبشـــــرا تموت ولم أنظر محياك مصفرا
وتبرح قبرا فيه عذبت أشهرا إلى جدث منه أبرّو وأطهـــــرا
وتحيا صغار الطير دونك والنحل[1]

وهكذا يقضى على الجنين البريء، وتضطر أمه إلى العودة إلى حياة الحانات للارتزاق ثم تناست مع الزمان ما كان، وقد عوقبت على حد قول الشاعر «غير الطهارة والطفل».

والملاحظ هنا أن البطلة اتخذت موقفا بطوليا شبيها بموقف البطلات الجبرانيات (كل أبطال قصص جبران تنتهي نهاية مأساوية)، فعزمت على قتل ابنها قبل ولادته لكي لا يصاب بلعنة الوجود مثلها، ومثل هذه القصائد كانت تدوي دويا كبيرا في زمانها لأن ضمير العصر كان يرتشف تلك الانفعالات العصبية أو الهيجان الانفعالي مثلما ترتشف الأرض الجافة المطر[2]. فليلى وغيرها كثيرا اختارت لجنينها الموت بدل الحياة، لأن في حياته دنس وشقاء واحتقار له وفي موته نهاية لحياة ونسيان لماضي أليم.

بناء القصيدة "الجنين الشهيد": لقد مهد الشاعر لقصيدته بوصف فتاة حسناء فقيرة، جاءت من الصعيد إلى القاهرة تستعطي وتتسول لتعيل أهلها، ويصور الشاعر شقاءها وفقرها ثم جمالها واكتمال أنوثتها حيث يقول:

أتت مصر تستعطي بأعينها النجل وعرض جمال لا يقاس إلى مثل
غريبة هذه الدار باديـــــة الــذل حلب طفلة عن موطن ناضب قحل
إلى حيث يروي النيل باسقة النخل
فلاحية ما درهـــا ثـــدي أمـــها سوى حزنها البادي عليها وهمها
ولم تتناول من أبيها سوى اسمها وما أحرزت من أهلها غبر يتمها
وأشقى اليتامى فاقد البر في الأهل
فكانت كنامي الغرس يزكو وينضر ومطعمه طين ومسقـــاه أكـــــدر
يحيط بها دوحـــان شيـــخ معمـــر وأم عجوز القشر واللب أخضـــر
تبيعها قوتا يشـــي مـــن الظـــل
فمن صبحها تسعى لجني ومكتدى وفي ليلها تقضي الذي يبتغي غدا
كما كان عبد الرّق جنحا ومغتدى يواصل مسعـــاه ليخـــدم سيّـــدا

[1]– أنيس مقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص 233.
[2]– إيليا الحاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص 236.

ويوسعه رزقا ويعذ من الثقـــــــل

فلم يك في ليلى سوى ما يحبـــب بها من معانيها الجياد ويعـــجب

وكانت على الأيام تنمو وتعـــذّب كثمرة الأغصان والصقع الطيّب

يبشرن في فصل ويعقدن في فصل

ضروب جمال لو رأتها أميـــــرة رأت كيف تعلوها فتاة حقيـــرة

وكيف حوت جاه الملوك فقيـــرة مصوّرة مما تجـــوع جديـــرة

بإحسان أرباب المبرّات والتبذّل[1]

وهنا يكمن جمال التصوير عند خليل مطران، حيث انتقل من تصوير ما اتسمت به حالة الفتاة من فقر والشقاء إلى صورة أسمى وهي صورة الجمال، وتبدأ الأحداث في هذه القصيدة حين يعرض الأب على زوجته، وقد شاهد اكتمال أنوثة فتاته أن تعمل "ليلى" في إحدى الحانات لأن في ذلك دخل وافر يكفيهما مؤونة السؤال ويهيئ لهم جميعا عيشا أفضل، فتقتنع الأم وتتودد من ابنتها، وتعترف لها بأنها بلسم لها ولوالدها وللحال تظهر الفتاة رغبتها في أن تعمل كل ما تشير إليه أمها، إذا كان في ذلك إسعاد للوالدين.

فتكاشفها الأم لما هيأ لها من عمل في إحدى الحانات فتدفع الفتاة إلى الغواية والضلال ويقبل طلاب المجون على ليلى يخطبون ودّها ويطلبون رضاها ويتغنون في وصف محاسنها والتودد إليها ومداعبتها. وأبوا أن يصدقوا أن الفتاة عذراء وراحوا يهزؤون منها ومن عفافها[2] وفي هذا يقول خليل مطران:

وقال أبوها يوم تمَّ شبابهـــــا وحيك لها من نور فجرًا يهابها

أيا أم ليلى حسب ليلى عذابها توفر مسعاها وقـــلّ اكتسابهـــا

وأسأت تكرار السؤال ذوي الفضل

أراها أصح الآن جسما وأجملا فحتام لا ينجي جنـــاها المؤملا

نمت ونموا لفقر يأتي معجلا ولم أر في الإعسار كالجان موئلا

لم يطلبون الرزق من أقرب السبل

[1]– خليل مطران، ديوان الخليل، ج1، دار مارون عبود، لبنان، ط1، 1975، ص 218.

[2]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد، ص 137.

فقالت: لها أم شديد دهائـــــها سخي مآقيها سريع بكـــــاؤها
بنية هذي الحال أعضل داؤها وأنت لنا دون الآنـــام دواؤها
أغيرك نرجو للمعونة والكفل؟[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات جهل والدي "ليلى" البريئة عندما استهانا ودفعا بابنتهما إلى طريق الرذيلة.

أما الحدث الثاني في هذه القصة فيتمثل في لقاء الفتاة "ليلى" بفتى وسيم يدعى" جميل" بحيث كان يميل إليها، ويظهر تودده إليها، وهي تصده وتميل عهنه (إلى غيره)، وظل يجالسها ويلاطفها إلى أن وعدها بالزواج، فراق لها، وماذا تبغي فتاة مثلها غير رجل يحميها ويسترها وانتهت مماطلته بالقبول، وأحبته وكذبت ماروت صديقاتها عنه، ويجيء جميل وتقبل عليه وتغفل سائر الناس وفي هذا يقول الشاعر: وكان فتى فتى طلق المحيا جميله ولكنه نذل الفؤاد ذليله.

يميل إليها وهي لا تستميله فيزداد فيه غيظه وغليلـــــــــه
وقد طـــــويت أحشاؤه طيـــــة الصّل
وكان كثيرا ما يود خطابها فتصغي إليها وهي تحسو شرابها
فإن ملأت مما يقول وطابها تولّت وكان الصد عنه جوابـــــها
فآب وفي آمـــــاقه أدمـــع تغلـــــي
وظل يوافي في المواعيد زائرا فيحسو الطليُ جمرا ويروي النواظرا
يخالصها نياتـــها والســـــرائر لطيفا لما يبغي على الذل صابـــــرا
فخورا برحب الصدر والكفل والخدل[2]

يتبين لنا من خلال هذه الأبيات مدى مكر جميل في استمالة ليلى لإيقاعها ونيل حبها ومن ثمة نيل مبتغاه.

العقدة: تبدأ العقدة حين يستغل جميل حب ليلى ويغتنم الفرصة فيقودها إلى مكان قفر مُعد لكل محرم ويبالغ في إغرائها ويقسم لها أنه من الغد يكون بعلها، فيرفع شأنها ويعيل أهلها فتنقاد له، وتصدق وعوده الكاذبة وفي هذا يقول الشاعر:

[1]– خليل مطران، ديوان الخليل، ج1، ص 220.
[2]– المرجع نسه، ص221.

فأبدت له الإقبال بعد التبـــــــرّم ولكن أطالت خبره خوف منـــدم
فقالت لها النفس الطموع إلى كـــم تظلان في مشق من الريب مؤلم
ويقضي نفيس العمر في الوعد والمطل[1]

وتتأزم العقدة باعتداء الفتى جميل على ليلى إذ يقول الشاعر:

فراغ بها في جنح الليـــــل أهيم كهم على صدر الوجود مخيّم
إلى ريض قفر المسالك مظلـــــم معدّ ليؤتى فيه كل محـــــرم
بما ثّم من روع وسحـــــر جتـــــل

ثم يصور لنا الشاعر عملية الاعتداء إذ يقول:

وكان الدجى قد رق حتى تصدع وهب يشير الصبح يرتاد مطلعا
فما زال يجلو خفيا ومقنعا إلى أن نضا أدنى الستور و قد وعى
دما طاهرا أجراه إثم فتى نذل[2]

وصف الشاعر في هذه الأبيات الجو، وكأنه يصف عملية الاعتداء وما يسبقها وما يرافقها، ثم تسقط الفتاة منهارة عندما تكتشف أنها حامل ويتخلى عنها جميل، فتسوء حالها وتمرض، و هنا تزداد عقدة القصة تأزما ويصور لنا الشاعر ذالك في هذه الأبيات:

فلما قضت من عدة الحمل أشهـــرا شكت ألما يستنفذ الصبر منكرا
وكانت على المألوف تشرب مسكرا وتتعب حتى يطلع الفجر مسفرا
وتمضي بجسم خائر العزم معتل
وطال عليها يومها في التوقـــــع ومر زمان بعده في التوجّـــــع
تبيت على مهد الأسى والتفجـــع وتصبح في يأس أليم مصـــــدع
وليس لها مشك وليس لها مسلي[3]

وهذه الأبيات دليل واضح على وحدتها وألمها بعد أن تركها جميل وجفاها الأهل و ازوّر عنها الناس.

[1]– خليل مطران، ديوان الخليل، ج1، ص221.
[2]– المرجع نفسه، ص 223.
[3]– نفسه، ص 239.

حل العقدة: تنتهي القصة نهاية مأساوية حيث أن الفتاة ليلى تصمم على قتل جنينها، فهي لا تريده أن يحيا دون أب، ويعيش عيشة الذل والفقر التي عاشتها، ويصف مطران هذا الصراع الذي يدور في ضمير المرأة، فهو ولدها وفلذة كبدها أتبقيه للذل أم تقتله، وترتكب إثما فتريحه من حياة ليس فيها غير الشقاء؟ وتقتله آخر الأمر:

ألا لما هذا الطفل يحيا ولا أبا له؟ أليشقى شقوتي ويعذبّا؟

كما يقول الشاعر أيضا:

تموت ولما تستهل مبشـــّرا تموت ولم أنظر محيّاك مسفرا
تفارق قبرا فيه عذبت أشهرا إلى جدث منه أبرّ وأطهـــــرا
وتحيا صغار الطير دونك والنحل
فإن تلق وجه الله في عالم السنى فقل ربي اغفر ذنب أمي محسنا
فما اقترفت شيء ولكن أبي جنا علينا فعاقبه بتعذيبـــــه لنـــا
وأمطره نارا تبتليه ولا يبتلـــــــى[1]

ويستفيق ضميرها وتعترف بأنها شريكة في الجريمة :

كفرت بحبي في اشتداد تغضبي فعفوك يا ابني ما أبوك بمذنبي
فقل: رب أمي أهلكتني لا أبي وأمي زنت حتى جنت ما جنته بي
فزدها شقاء واجزها القتل بالقتل[2].

وتسقط جنينها لتعود بعد عام، وتسلوا ما فعلت وجميل نعيم البال، حتى إذ التقت عيناه بليلى تبتسم "لذكرى شهيدين: البكارة والطفل".

الشخصيات: احتوت القصة شخصيات وهي:

الفتاة: فتاة جميلة، تمتاز بحسن وجمال خلاق، تعمل في الحانة بطلب من والديها، فتقع في الرذيلة مع شاب مخادع يقول الشاعر:

بهاء به يسمو على الجاه فقرها وعزى يزري الجواهر نحرها
وثوب عتيق إنفشى منه سرهـــا وأباح كنوز للنواظر صدرهـــا
يحرمها جفن ترصد بالنبل[3]

---

[1]– خليل مطران، ديوان الخليل، ج1، ص 247.

[2]– المرجع نفسه، ص 247.

[3]– نفسه، ص 218.

فهي فتاة جميلة رغم فقرها، فجمالها مغن عن كل الجواهر الثمينة.

الفتى: شاب مخادع، غير مؤدب، نذل وحقير، مخلف للوعود، وفيه يقول الشاعر:

وكان فتى طلق المحيا جميله ولكنه نذل الفؤاد ذليله
يميل إليها وهي لا تستميلـــه فيزداد فيه غيظه وغليله
وقد طويت أحشاءه طيّة السلّ[1]

وتعد ليلى وجميل من الشخصيات الرئيسية في القصة إضافة، إلى شخصيتين ثانويتين هما: أب وأم الفتاة. لقول الشاعر:

يحيط بها دوحان شيخ معمّر وأم عجوز القشر واللبّ أخضر
تبيعها قوتا بشيء من الظّل[2]

البناء السردي: جاءت قصيدة "الجنين الشهيد" بأسلوب سردي في معظم أجزائها، وهذا بديهي لأن السرد عنصر مهم من عناصر القصة، كما أن لغته جاءت بسيطة ذات ألفاظ سلسة بعيدة عن التكلف، لقول الشاعر:

دعاها بليلي والدها لتتكـــــرا وهل كان صونا لاسمها أن يغيّرا
على أنها كانت مثالا مصوّرا تصورا من ماء الجمال مقطـــــرا
فحلّاه ما تهوى المنى وبه حلى
فلم يك في ليلى سوى ما يحبب وبها من معانيها الجياد ويعجب
وكانت على الأيام تنمو وتعذب كمثمرة الأغصان والسقع طيّب
يبشّرن في فصل ويعقدّن في فصل[3]

فهذه الأبيات كلها سرد لمواصفات الفتاة، وكذا سرد لأحداث حياتها بدءا من تسميتها بليلى إلى نضجها ودخولها عالم الحانات والإغراء والرذيلة، كما نلاحظ أن الألفاظ التي اعتمدها مطران ألفاظ مفهومة تحتاج فقط إلى التمعن، وهذا لأن القصيدة موجهة إلى عامة الناس.

عنصر الحوار في قصيدة الجنين الشهيد: تضمنت القصيدة عدة مقاطع حوارية من بينها حوار الأم مع ابنتها، ويتضح ذلك من خلال الأبيات التالية:

---

[1]– خليل مطران، ديوان الخليل، ج1، ص 221.
[2]– المرجع نفسه، ص 218.
[3]– نفسه، ص 219.

فقالت: أشيري يا أميمة إنّنـــي لفاعلة ما شئته فأمرنّنـــــــي
وما تؤثريه أحترفه وأتقــن وكل الذي فيك رضا يسرّني
فروحكما همّي وعزاكما شغلي
فقالت لها: إنّا نرى لك مهنة تعيد علينا نقمة العيش منّة
تكونين فيها للنواظر جنّـــة وللشاربين المستهامين فتنة
فتّرقين أوج السّعد من مرتقى السّهل[1]

ويوجد حوار ثان وهو بين الفتى و الفتاة ويظهر ذلك في قوله:

تسمّين يا حسناء؟ قالت تحبّبـــا أنا اسمى ليلى هل ترى اسمي معجبا
فقال: لئن أنشدته الصّخر أطربـــا برقّة هذا الصوت أو راهبا صبّـــا
أو الثاكل اعتاض السرور من الثّكلِ[2]

ويظهر الحوار كذالك في قوله:

وقالت: بتول فارقبو الله واتقوا ولكن أشار اللّحظ أن لا تصدّقوا
فأضحكهم هذا العفاف الملفــق وقال فتى شأن الرّحيق يعتـــق
ولكن تعتيق العفاف من الخبـــل[3]

ونفهم من هنا أن معظم أبيات القصيدة وردت فيها الصيغة الحوارية التي صبغت القصيدة بصبغة جمالية.

بناء الوصف في القصيدة " الجنين الشهيد": لقد استخدم خليل مطران الوصف في هذه القصيدة من خلال إبراز الشخصيات والمواقف، وإظهار الأماكن، حيث نجده يقول في وصف الفتاة:

ضروب جمال لو رأتها أميرة رأت كيف تعلوها فتاة حقيـــرة
وكيف حوت جاه الملوك فقيرة مصوّرة مما تجوع جديـــــرة
بإحسان أرباب المبرّات والبـــذل[4]

أما في وصف الفتى فيقول:

---

[1]– خليل مطران، ديوان الخليل، ج1، ص 220.
[2]– المرجع نفسه، ص 221.
[3]– نفسه، ص 221.
[4]– نفسه، ص218.

وكان الفتى طلق المحيا جميله ولكنه نذل الفؤاد ذليلـــــــه
يميل إليها وهي لا تستميلـــــه فيزداد فيه غيظه وغليلـــــه
وقد طويت أحشاءه طيّة الصّل[1]

كما نجد أن خليل مطران تعرض لوصف المكان حيث يقول:

فراغ بها في جنح أليلِ أهيم كهّم على صدر الوجود مخّيم
إلى ربض قفر المسالك مظلم معّد ليؤتى فيه كل محـــــرم
بما ثمّ من روع ومن سحر جتــل[2]

صوّر لنا الشاعر من خلال هذه الأبيات كل شخصية بما يليق بها من أوصاف، وكذا تعرض للمكان وكأنّ المكان ماثل أمامه.

والملاحظ في هذه القصيدة أنها تميزت بميزات نادرا ما يوجد مثلها في الشعر العربي قديمه وحديثه، فهي تكاد تحوي جميع مميزات شعر مطران، فالخيال والعاطفة والتصوير وحسن السبك ووحدة القصيدة جميعها موجودة فيها، كما أنه اعتمد الوحدة العضوية فيها، فقد برزت متماسكة وليست أبياتا مفككة تنقل وتبدل دون أن يتأثر المعنى أو يختل القصد[3]، وهذا بديهي إذ أن مطران يروي قصته متسقة الحوادث فلا مجال للإخلال في سياقها، كما أن هذه القصة تظهر شخصية مطران، فهو اجتماعي عطوف يلتقط المشاهد، فقد صوّر لنا حياة تعيسة لفتاة فقيرة والشهيد في هذه القصيدة هو " البكارة" و"الطفل".

[1]– خليل مطران، ديوان الخليل، ج1، ص 222.
[2]– ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد: ص 140.
[3]– خليل مطران، ديوان الخليل، ج1، ، ص223.

خاتمة

خاتمة:

إنّ القصة الشعرية عند خليل مطران نابعة من القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية التي تعيشها الأمة العربية عامة ولبنان خاصة، لذا جاء شعره في الغالب مخصص لتلك القضايا فقد كان رائدا من رواد هذا الفنّ بامتياز، ومساهما في دفع القصة الشعرية العربية إلى الأمام حيث عبّر عنها بصدق وإخلاص. وهذا ما لمسناه من خلال الدراسة التي قمنا بها وبالأخص شعره القصصي الاجتماعي المتمثل في قصيدة "الجنين الشهيد" التي قمنا بتحليلها ومن خلال تناولنا لهذا البحث توصلنا إلى بعض النتائج التي يمكن إجمالها في:

1- إنّ خليل مطران من أكثر الشعراء الذين اهتموا بالقضايا الاجتماعية بجميع أشكالها، في العصر الحديث ولهذا جاء شعره نتيجة اقتناعه وشعوره بالمسؤولية إزاء وطنه ومجتمعه.

2- كان خليل مطران محافظا ومجددا، مطلعا على الآداب الغربية ورائدا حقيقيا للشعر القصصي وهي سمة جوهرية من سمات خليل مطران، وهذه الأخيرة تعتبر مثالا نادرا للربط والجمع والتوفيق الناجح بين العناصر التقليدية وعناصر التجديد في الشعر العربي الحديث.

3- الشعر القصصي عند خليل مطران هو الثورة الجزئية على ما لا يصلح للحياة المعاصرة وما لا يعتمد على جمالية الوصف والتصوير.

4- الخليل كغيره من الشعراء اجتماعي بطبعه، ثائر على الفساد الاجتماعي داع إلى التحرر الفكري والديني والاجتماعي، دون الخروج عن المبدأ الأخلاقي، حيث نجده يجسد الواقع الاجتماعي ويحلل شخصياته من خلال قصائده.

5- الشعر القصصي عنده يؤمن بالفضيلة وينزع نحو التعليم والتهذيب، وهذا ما لمسناه من خلال دراستنا لقصيدة "الجنين الشهيد" والتي نتمنى أن تكون عبرة لمن يعتبر.

6- خليل مطران حلقة وصل بين الشعر الحديث والأكثر حداثة، فمعالم التجديد عنده تتحدد في اتجاهه إلى القصة الشعرية، وما يستلزم ذلك من تميز في الإطار والأسلوب والتعبير، ولا نغالي إذ قلنا أن مطران واضع القصة بمعناها الصحيح، وإن جاءت بعض القصائد عند بعض الشعراء القدامى في صورة قصصية ولكنها ليست بالصورة التي ظهرت في ديوان الخليل، الذي أثبت براعته في هذا اللون وتفوق فيه على أقرانه، فنفخ في الشعر العربي النفس الاجتماعي في قصيدته "الجنين الشهيد" و"شهيد المروءة".

7- استعمل في قصيدته بساطة المعاني، وسهولة الألفاظ والتراكيب وبعده عن الخيال الجانح والتصوير البعيد، ذلك أنه صور لنا الواقع الاجتماعي بامتياز.

8- استعمل الوصف في شعره عامة وقصيدته "الجنين الشهيد" خاصة، وذلك لإبراز الشخصيات والأماكن، وكذا لزيادة التنسيق من غير إغراق ولا إسراف، لاستكمال الصورة الشعرية.

9- كما نلاحظ أن الشاعر استعان بظاهرة التكرار الذي تفنن فيها لدرجة كبيرة على مستوى الصيغة وعلى مستوى التراكيب.

10- استعمل مطران ألفاظا تاريخية، تنبو عن فهم معاصريه وذوقهم ولو بنسبة يسيرة.

11- خرج شعر مطران عن نطاق شخصية الشاعر وتميز شعره عن شعر غيره، بالمعنى المبتكر والتصوير القوي، الذي يرجع إلى العقل أكثر مما يعتمد على العاطفة.

من هنا فمطران بشعره القصصي قدّم لنا نماذج رائعة معبرة عن الواقع السياسي الاجتماعي للأمة، رغبة منه في نهضة اجتماعية وأدبية للأمة العربية، مسايرة لركب الحضارة.

وأخيرا يعتبر هذا البحث عملا متواضعا، نتمنى من ورائه إشراقة طيبة في مجال الأدب والشعر بالأخص. وما كان صوابا فبتوفيق المولى عز وجل وذلك الذي أردناه وإليه قصدنا، وما كان من نقص وخطأ فمن أنفسنا والشيطان والله منه بريء، ونرجو أن ينال اهتمامكم بالنّقد البنّاء.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان ط3، 2003.

2- أنيس مقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط9 1998.

3- إيليا حاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، لبنان، ط2، 1983.

4- جمال الدين الرمادي، خليل مطران شاعر الأقطار العربية، دار المعارف، مصر، د-ط، 1972.

5- حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2004.

6- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، بيروت، ط10، 1980.

7- خالد إبراهيم يوسف، مغالطات في حياة خليل مطران وشعره، دار النهضة العربية، لبنان ط1، 2006.

8- خليل مطران، الديوان ج1، دار مارون عبود للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1975.

9- سلمى خضراء الجيوسي، اتجاهات وحركات في الشعر العربي الحديث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2001.

10- عباس صادق، موسوعة أمراء الشعر العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط3 2009.

11- عزيزة مريدن، القصة الشعرية في العصر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د-ط، 1988.

12- عماد علي سليم الخطيب، في الأدب الحديث ونقده، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2009.

13- عيسى سبأ، شعراء القصة والوصف في لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر، د-ط، 1961.

14- كاظم حطيط، أعلام ورواد في الأدب العربي، ج2، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة ط1، 2003.

15- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

16- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، الرومانسية العربية، ج2، توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2001.

17- محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، ج1، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ط3، 2004.

18- محمد مندور، خليل مطران، مكتبة النهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، د-ط، 1995.

19- ميشال جحا، خليل مطران باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1995.

فهرس

فهـــــرس

مقدمة: .....أ

الفصل الأول: لمحة عن حياة خليل مطران وشعره

1- مولده ونشأته 05

2- روافده الثقافية: 06

أ- تيار الطبيعة 07

ب- تيار غربي 08

ج- تيار عربي 09

3- آثاره 09

4- شاعريته: 11

أ- خليل مطران بين التقليد والتجديد 11

ب- شاعر الوجدان 13

ج- خليل مطران شاعر التاريخ والاجتماع 14

د- خليل مطران شاعر الوصف والطبيعة 15

ه- خليل مطران الناثر 16

5- خصائص شعره 16

6- المرأة في شعره 20

الفصل الثاني: ملامح الشعر القصصي عند خليل مطران

1- مفهوم القصة الشعرية 24

2- خصائصها 25

3- مصادرها: 26

أ- المصدر التاريخي 26
ب- المصدر الاجتماعي 27
ج- القصص الشعبي والأساطير 27
4- أنواعها: 28
أ- القصص الشعري التاريخي 28
ب- القصص الشعري الاجتماعي 30
ج- القصص الشعري الوجداني 32
د- الشعر القصصي الثوري (القومي) 33
5- تحليل قصيدة "الحنين الشهيد" أنموذجا: 35
1- ملخص قصة "الجنين الشهيد" 35
2- بناء قصيدة "الجنين الشهيد" 36
خاتمة 45
قائمة المصادر والمراجع 48
فهرس 51